

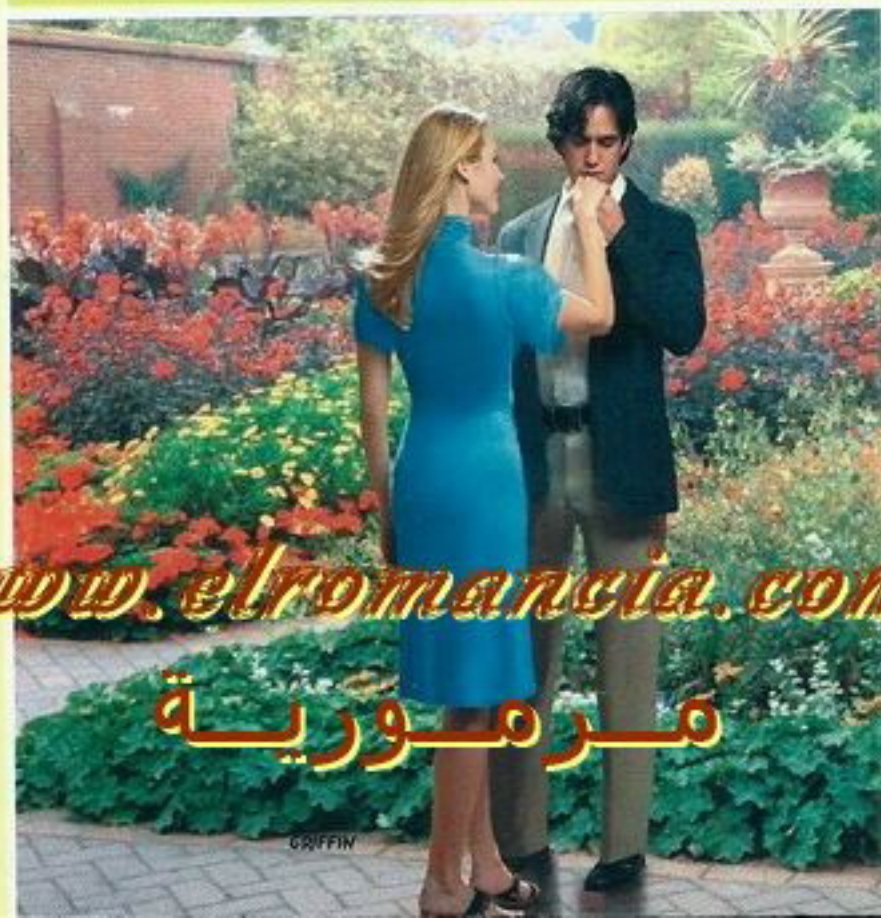


# روايات أحلام



## خذ الماضي وارحل

مارغريت مايو



[www.elromancia.com](http://www.elromancia.com)

مرمورية



## خذ الماضي وارحل

عندما اكتشف رجل الأعمال الإيطالي لويجي كوستانزو أن ميغان، زوجته الجميلة الهاربة، هي أيضا أم طفلته، تملكه السخط.

كيف تجرؤ على إخفاء ابنته عنه؟

لم تملك البهجة ميغان وهي ترى لويجي على عتبة بابها ذلك أن لويجي ما يزال يبدو بنفس غطرسته السابقة... وكذلك جاذبيته التي لا تقاوم!

قال لها: «لدينا عمل لم ينته بعد».

فردت ميغان هامسة: «كانت تلك غلطة».

لم يستطع أن يمنع نفسه من السؤال: «أعتبرين زواجنا غلطة».

1دينار  
10ريال  
8جنيه  
15درهم  
2دينار  
1ريال

2500ل.  
75ل.س.  
1.5دينار  
750فلس  
10دراهم  
10ريال



## روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.  
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية  
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.  
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال  
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A  
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص  
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:

*Her husband's Christmas Bargain*

First published in Great Britain 2004

Harlequin Mills & Boon Limited

© Margaret Mayo 2004

Translation © Dar El-Farasha - 2007

ISBN 978 - 9953 - 15 - 370 - 4

## أعزائي القراء

لأننا عودناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن  
قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة  
حب تخفف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون  
هديتنا إلى قراننا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين  
Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع،  
وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠  
عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدنا من حيث اختيار القصة الشيقة  
والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في  
زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق،  
وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات  
اللاتي أحبيتموهن، الدور الأسامي.

بكل إخلاص  
أسرة أحلام

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سترزعرود -

ص.ب: 11/8254 هاتف/فاكس: 961-1-450950 - بيروت - لبنان

Email: info@darelfarasha.com - http://www.darelfarasha.com

## ١ - شيخ الماضي

ليست هي، لا بل هي. إنها ميغان. سمع لريجي كوستانجو الطفلة تخبر سانتا كلوز أن كل ما تريده في عيد الميلاد هو أب، فأثار ذلك استغرابه، كما حرّك شعوراً عميقاً في نفسه. نظر إليها وهي تعود إلى أمها، إنها طفلة جميلة ذات شعر أشقر طويل وعينين زرقاوين كبيرتين. لكن معرفته بأمها هي التي سببت له هذا الدهول.

ميغان! إنها زوجته ميغان التي لم يرها منذ أربع سنوات تقريباً. يا إلهي!

نقل لويجي نظراته بين الأم والابنة، وضافت عيناه. ما زالت ميغان تتمتع بذاك الشعر الأشقر الذي يصل إلى كتفيها، وذلك القوام الرشيق. لم يتغير فيها شيء، حتى أنها لا تبدو أكبر سنّاً. واستدار على عقبه وأشار إلى أقرب مستخدميه: «أرجوك أن تتبع هذه المرأة وتعود إليّ بعنوانها».

- نعم سيدي.

لم يظهر الشاب أي دهشة فقد ابتداء العمل لتوه، ولم يشأ أن يجادل رئيس مجموعة متاجر «جيرارد» الجديد الذي استنفر كل العاملين منذ استلم العمل قبل أشهر.

\*\*\*

- ما الذي طلبته، يا حبيبي؟

نظرت ميغان إلى ابنتها الغالية التي كانت تسير بمرح بقربها. لم يكن لديها وقت لزيارة «سانتا كلوز»، لكن شارلوت أخذت تنوّل إليها

## مارغريت مايو

كانت مارغريت مايو تقرأ روايات «ميلز أندبون» العاطفية قبل أن تبدأ بتأليفها بوقت طويل. في الواقع، لم تكن لديها أي نية أن تصبح كاتبة. ولكن بعد أن خطرت لها فكرة قصة قصيرة، تحمست لتحويلها إلى رواية بكل ما للكلمة من معنى. والآن، بعد ٢٥ عاماً على ذلك، لا تزال مارغريت مايو سعيدة بتأليف الروايات وتقول إنها لا تنوي الاعتزال. تعيش حالياً مع زوجها «كين» في منطقة «ستافورد شاير» الريفية في إنكلترا وهي أم لولدين: أدريان، الذي يعيش حالياً في أميركا، وتينا. من هوايات مارغريت التصوير، ومؤخراً الرسم بالألوان المائية الذي على حد قولها عزز قدرتها على الملاحظة، الأمر الذي يفيد كثيراً في تأليف الروايات.

بجراحة فلم يسمح لها قلبها برفض طلبها .

وأجابت الطفلة : « طلبت أباً » .

فقالت الأم باسمه وهي تكبح دهشتها : « لا أظن أن سانتا كلوز يمنح

آباء . كان يفترض بك أن تطلبي لعبة » .

شارلوت فعلاً بحاجة إلى أب . ولو كانت شخصية لويجي مختلفة . . .

وتوقفت ميغان عن التفكير . عليها ألا تسمح لأفكارها بأن تأخذ هذا

الاتجاه . كانت حمقاء حين تزوجته . . . حين أقنعها والداها بأنها ستصبح

أحسن حالاً إذا تزوجته . كان رجلاً بالغ الطموح ، ولن يدعها تحتاج

شيئاً . كان المال مشكلة حياتهم ، فأبوها لم يستمر في عمل واحد مدة

طويلة بسبب صحته . ولهذا السبب ، لم تخبر والديها أنها ستترك زوجها

بل اختفت بكل بساطة ، لتتصل بهما لاحقاً تطمئنهما إلى أنها بخير ،

ولكن من دون أن تترك عنواناً . لقد ساء هما ذلك جداً ، وأخبرها أنها

تقترف خطأ جسيماً . . . لكن كلامهما لم يجعلها تبدل رأيها .

كان هدف لويجي الرئيسي هو جمع ثروة ، وكان ماهراً جداً في ذلك .

أما زوجته فمهمتها التنظيف وطهي طعامه وغسيل ملابسه وإشباع

رغبته . لكن قلبه لم يحمل أي حب ، كما أدركت بعد زواجهما بأشهر .

وتملكها الشك في قدرته على اختبار مثل هذه العواطف فيما أحبته هي

بمشاعر محمومة كانت تخفيها أحياناً .

صرفته من ذهنها بجهد ، مركزة تفكيرها على ابنتها الثرثرة . لقد

أعطاهما سانتا كلوز علة فأمضتا الرحلة بطولها في تكهن محتواها .

كانت تسكن في بيت مستأجر ذي شرفة أرضية تشاركها فيه جيني

ويلسن التي تعرفت إليها عند وصولهما إلى لندن . حال دخولهما البيت ،

مرّقت شارلوت ورقة هديتها . إذا ما أصيبت ميغان بخيبة الأمل ، فإن

ابنتها لم تصب بذلك ، بل سرّت كثيراً بالجندي الدمية : « أنظري يا

ماما . يمكنني أن أعتبره بابا . أليس سانتا كلوز عطوفاً؟ » .

بدا واضحاً أن هدايا الصبية والبنات اختلطت ببعضها البعض لكن

ميغان لم تشأ أن تخبر ابنتها بذلك ، فأجابت : « إنه كذلك بكل تأكيد يا

حبيبي . ماذا ستسمينه؟ » .

- سأدعوه بابا طبعاً . تعال يا بابا والعب معي .

انفطر قلب ميغان لرؤية عواطف ابنتها الحميمة نحو الدمية . لم تكن

تدرك أن شارلوت تفتقد وجود أب . من أين جاءت هذه الفكرة؟ إنها

أصغر من أن تدرك ذلك .

وفي الأيام القليلة التالية أصبح بابا الدمية جزءاً من حياتهما .

وصباح الأحد ، عندما قفزت شارلوت إلى السرير بجانبها ، كانت الدمية

معها . ودّت ميغان أحياناً لو تضيّع الدمية ، لكنها تعلم أن ذلك سيحطم

قلب ابنتها . المشكلة تكمن في أن الحديث عن بابا يعيد إليها ذكريات

تفضل أن تنساها .

عندما أخذ جرس الباب يرنّ بالحاح ، رغبت في أن تتجاهله . . .

فالوقت هو صباح الأحد ولا أحد يأتي في هذه الساعة مهما كانت

الظروف . لعل هذه الزيارة لجيني التي تمضي عطلة نهاية الأسبوع مع

خطيبها . لكن رنين الجرس لم ينقطع ، ما يعني أنّ الشخص الضاغظ

بإصبعه على الجرس لا ينوي الذهاب من دون جواب .

ارتدت عباؤها بفروغ صبر وهي تقول لابنتها : « إبقى مكانك ليبقى

المكان دافئاً » .

ثمّة شخص ما سيضايقها . . . لكن هذا الشخص بالتحديد سلبها

القدرة على الكلام ، وشعرت بوجهها يشحب وقلبيها يكاد يتوقف عن

الخفقان . كان زوجها آخر شخص توقعت رؤيته . فقد ظنت أنها

أصبحت في مأمن بعد كل تلك السنوات . في الواقع ، كانت تشعر بذلك

لعلمها أنه لا يعرف مكانها . وهذا لا يعني أنها توقعت منه أن يبحث

عنها . لعل كل اهتمامه بغيابها تركّز على إحضاره مدبرة لمنزله .

كان لا يزال وسيماً كعهداها به ، حتى أن وسامته اللاتينية السمراء

ازدادت مع مرور السنوات بدلاً من أن تبهت . شعر أسود قصير ،

وعينان بنيتان داكنتان بالفتا التأثير. ربما هناك تجعيدة أو اثنتان لكنها  
أضافت إلى وسامته أكثر مما أنقصت. كانت شفتاه الكبيرتان مزمومتين  
بشكل متجهم.

كان يفوقها طولاً فسرها وقوفه أسفل عتبة بابها بدرجة ما جعله  
يبدو أقل رهبة.

- جئت مطالباً بابنتي.

شهقت لكلماته الجافة. لقد تحقق أسوأ كوابيسها! وضعت ساقاها  
فتمسكت بقبضة الباب: «... كيف عرفت؟».

اختنفت ببقية الكلمات، بينما أجاب بلهجة انتصار وقد لمعت  
عيناه: «إنها، إذن، ابنتي!».

لقد أوقعها في الفخ، وشعرت بأنها تريد أن تصفحه أو تصفق الباب  
في وجهه على الأقل. لكن بـم يفيدها ذلك؟ فهو لن يرحل قبل أن  
يحصل على ما يريد، ولم تجرؤ على التفكير في ما يريد.

- هل يمكنني الدخول أم أننا سنتفاوض عند العتبة؟

نتفاوض؟ نتفاوض على ماذا؟ الحق في الزيارة؟ ثمة أمل بسيط. إنه لم  
يعد جزءاً من حياتها... حياتها هي وشارلوت. كان عليها أن تطلب  
الطلاق. كيف عثر عليها؟ وأخذ هذا السؤال يدور في رأسها.

كان يعيش في «دريشايير»، وليس له علاقات في لندن. فظنت أنها  
ستكون في أمان في هذه المدينة الكبيرة التي تبعد عنه أكثر من مئة  
وخمسين ميلاً... فكيف عثر عليها؟ أتراه كان يبحث عنها طوال تلك  
السنوات؟ وتملكها الشك في ذلك. كان قد صرح، قبل الزواج، أنه  
يجبها، لكنه، بعد الزواج، لم يظهر لها سوى القليل القليل من العواطف  
ما يبعد إمكانية أن يجوب البلاد بحثاً عنها على حساب عمله الغالي.

بدا لها بالغ الأناقة بخلاف عاداته التي تعرفها عنه مع أن المال لا  
ينقصه ولم ينقصه يوماً ما. لكنه بدا لها الآن ناضجاً وأكثر ثقة بنفسه،  
فحتى طريقة وقوفه أنبأها بذلك.

إنه هنا لهدف ويتوقع الحصول عليه. لا، إنه لا يتوقع بل يطالب به  
... حقاً له. إنها ترى ذلك في ملامحه. وهزمتها عيناه الداكنتان ما  
جعلها تتراجع خطوة لتسمح له، بصمت، بالدخول إلى قسمها الخاص  
من الشقة.

لم تشأ ذلك لكن لم يكن أمامها أي خيار. كانت تطيعه وكأنه نومه  
مغناطيسياً... أم لعلها فعلت ذلك لأنها لم تشأ أن تجادله أمام جيرانها؟  
على أي حال، جارتها في ما يريد وفي نفسها خوف من أن تندم على ذلك  
لاحقاً.

تبعها إلى غرفة الطعام حيث وقف عند العتبة بينما أزاحت هي  
الستائر ساحة لضوء الصباح البارد بالدخول. بعدئذ شبكت ذراعيها  
على صدرها وألقت عليه نظرة حملت قدر ما أمكنها من التسلط.

إنه العدو إذا كان ينوي أخذ شارلوت منها. هذه الفكرة أثارت في  
نفسها غريزة الأم التي تحارب لتحفظ صغارها. وتصلب ظهرها بينما  
عكست عينها الزرقاوان العدا.

- كيف عثرت علي؟

فأجاب بهدوء: «وهل هذا مهم؟ المشكلة الآن هي أنك حرمتني من  
ابنتي».

فنبالت بصوت مرتفع: «أتظن أنه كان بإمكانك أن تكون أباً  
صالحاً؟ أنت لم تظهر لي حتى لحظة من العطف، ولا أنوي أن أعرض  
الطفلة لهذه المعاناة».

شهق غير مصدق: «كنت أعمل لمستقبلنا، يا ميجان، إذا ما  
نسيت».

- ولهذا لم أكن أنا ذات أهمية.

- كنت مهمة جداً، لكنني ظننتك تنفهمين الأمر.

فردت بجدة: «كنت أفهم تماماً. ظننتني سعيدة بالجلوس في الخلف  
أثناء انهماكك في جمع مليونك الأول. اعتقدت أن التفكير في كل ذلك

المال سيكون كافياً لكي أبقى سعيدة في بيتي بينما أنت تمضي كل ساعة من حياتك في جمع المزيد من ذلك المال التعميس. دعني أقل لك شيئاً، يا زوجي العزيز، وهو أن المال لا يحميني، ما دام لدي ما يكفيني لتأمين سقف فوق رأسي ورأس شارلوت وطعامنا وكسوتنا...»

- اسم ابنتي، إذن، هو شارلوت. إنه اسم جميل. أين هي؟ أريد أن...

فأجابت كاذبة: «إنها نائمة، وأرجوك أن تخفض صوتك».

- أريد أن أراها.

- وبعد ذلك تذهب؟ لا أظنك ستفعل هذا. قلت إنك جئت مطالباً بابنتك. هذا لم يعجبني. ماذا عنيت بذلك؟ لأنني سأخبرك منذ الآن أنك لن تأخذها مني إلا على جثتي.

صرخت بهذه الكلمات من دون أن تستطيع منع نفسها من ذلك. لن يأخذ منها شارلوت... لن يأخذها! ستمنعه من ذلك بأسنانها وأظافرها.

- ما أريده هو أن تقضي شارلوت عيد الميلاد معي.

حدقت إليه ميغان غير مصدقة، ثم هزت رأسها: «أتظن حقاً أننا سنفعل ذلك؟ أتظنني ساعد ابنتي تمضي العيد مع غريب؟»

أذته سخرتها هذه. رأت هذا في عينيه لكنها لم تهتم. كيف يجرؤ على التفكير في أن بإمكانه أن يحضر إلى هنا ويأخذها منها؟

قال بخشونة: «أنا لست غريباً. أنا أبوها ولدي حقوقي، وعليك أن تعلمي هذا. وإذا كنت تعرفين صالحك، فستقبلين بما ليس لديك خيار فيه».

دخل إلى الغرفة ووقف أمامها فشعرت بجملدها يقشع. حاولت التراجع لكنها أدركت أن إظهار أي خوف منه سيدفعه إلى انتهاز الفرصة. يمكن للويجي أن يكون قاسياً للغاية، وإذا أراد شيئاً فلن يشبه عن عزيمته أي عائق. لقد رأت من ذلك ما يكفي في حياته العملية،

وهي تعلم أنه سيتصرف على هذا النحو بالنسبة إلى ابنته.

وعندما أمسك بكتفها بيديه الكبيرتين، سرى في كيانها شعور تصعب السيطرة عليه... شعور هو مزيج من الغضب والخوف واليأس معاً. ويقوة لم تكن تدرك أنها تملكها، دفعت عنها بعيداً. وإذا بها ترى شارلوت تدخل الغرفة وتنظر إليها بخوف: «ماما. ماذا يفعل هذا الرجل هنا؟»

أخذت ميغان ابنتها بين ذراعيها على الفور: «لا شيء يا حبيبتى».

- لكنني رأيت يلمسك. هل كنتم تتقافلان؟

- كلا بالطبع.

- من هو إذن ولماذا هو هنا؟

نفهت ميغان سبب أسئلة ابنتها لأنها لا يستقبلان رجالاً أبداً ما عدا صديق جيني. لم يدخل حياتها أي رجل منذ هجرت لويجي، لأنها لم تنشأ ذلك. لقد ملأت ابنتها كل ساعة من حياتها ما جعلها سعيدة تماماً... سعادة دامت حتى بضع دقائق مضت. وشعرت بسعادتها تبتهت ليحل القلق محلها.

من سخرية القدر أن يعود لويجي في هذا الوقت الذي أخذت شارلوت تطلب فيه أباً. لقد أفلح تماماً في توقيت زيارته هذه. بدا وكأنه ينوي أن يبذل جهده لكي يسلب منها ابنتها الحبيبة، كانت واثقة تماماً من أن هذه هي نيتة. فهو لا يريد لها هي بل يريد شارلوت.

(جئت مطالباً بابنتي!). هذه هي كلماته التي جعلتها تشعر بقشعريرة باردة، فكيف تخبر شارلوت أن هذا هو أبوها؟ لا، لن تفعل. لكن كيف يمكنها أن تتخلص منه؟

نظر لويجي إلى الطفلة وقال: «يبدو أن أمك لن تخبرك من أكون».

ألقت ميغان عليه نظرة محذرة، فهي تعلم نتيجة كلامه. لكنه تجاهلها وقال بصوت لا يحمل أي شعور بالحلب حتى كادت ميغان تخنقه وهي تراه لم يتغير مثقال ذرة: «أنا أبوك».

أمسكت شارلوت بعباءة أمها ونظرت إليه وعلى ملاحظها مزيج من الرهبة والارتياح: «هل أرسلك سانتا كلوز؟».

عندئذ، ابتسم وقال: «هذا صحيح. أخبرني أن ثمة بنت صغيرة حلوة جداً تريد أباً».

التفتت شارلوت إلى أمها بعينين متسعيتين، بدا فيهما أنها اعتقدت بحصول المعجزة: «ماما، أليس سانتا كلوز رائعاً؟».

فأجابت أمها بابتسامة مرغمة: «إنه يبذل جهده دوماً، يا حبيبتي. لكن العيد لم يحل بعد، كما تعلمين».

ماذا يمكنها أن تقول غير ذلك؟ كيف تطفئ ومضة السعادة التي تملكك ابنتها؟

- إنه قريب جداً. ما رأيك في أن تأتي مع أمك لقضاء العيد معي؟ لي بيت كبير رائع ويمكنك المساعدة في تزيين شجرة العيد والله يعلم كم من الهدايا سنجد تحتها يوم العيد.

همست ميجان بصوت خافت: «لويجي».

كان هذا ابتزازاً عاطفياً. سيتمكن من إغراء الطفلة بالهدايا، ولكن ما تريده أكثر من أي شيء آخر في العالم، هو أب يحبها. أب يظهر عواطفه في كل مناسبة. أما شراء حب الطفلة فهو تصرف لا يُغتفر، وهذا كل ما سيفعله. كانت الإثارة قد تملك شارلوت، فاختبأت خلف أمها وراحت ترمق لويجي بقلق، بينما كانت أمها تقول: «كيف تجرؤ على الحضور إلى هنا بعد كل تلك السنوات محارلاً أن تسلبني حياتي؟ لدي خططي لقضاء العيد، فلماذا أغيرها من أجل نزوة طارئة منك؟».

- أوكد لك أنها ليست نزوة. أريدك أن تعودا أنت وابنتي إلى مكانكما الطبيعي... وأنا لا أمنحكما أي خيار آخر.

\*\*\*

تملك لويجي غضب بالغ. يكفي ما تكبده من آلام حين هجرته

زوجته. لكن أن تهجره وهي حامل منه فهذا لا يطاق! هل كانت تكرهه إلى هذا الحد؟ وهل ما زالت تكرهه؟ في الواقع، لم يدرك يوماً ما أدى بزواجهما نحو الفشل. فأمضى الليالي أرقاً يبحث في ذهنه عن السبب، من دون فائدة.

كان يظنها سعيدة، فهو يؤمن لها كل ما تحتاجه. نعم، كان يمضي ساعات طويلة في العمل، لكنها تفهم ذلك، فهذه هي الطريقة الوحيدة للنجاح.

لم يعلم أحد من أصدقائها، أو حتى والديها، إلى أين ذهبت. ولم تشر أبحاثه، حتى الشرطة لم تستطع أن تساعد. وازداد استغراقاً في عمله، آملاً بعودتها يوماً ما. لكنه، في النهاية، اضطر إلى قبول فكرة أن زواجهما انتهى... فازداد استغراقاً في عمله.

عندما رآها في متجره تملكه الدهول. وعندما نظر بإمعان إلى الطفلة أدرك على الفور أنها طفلته، فلديه صورة لأمه في سنها حيث الشبه بينهما ملحوظ للغاية.

لقد أخفت ميجان ابنته عنه... وها هي ذي الآن تدعي أن لا حق له فيها. يا إلهي... إنها تكرهه حقاً. ما الذي فعله لها؟ لكنه واثق من أمر واحد، وهو أنه لن يسمح لها بالانتصار عليه، كما لن يدعها تهرب منه مرة أخرى.

أجابت: «لا تمنحنا خياراً آخر؟ صدقتي أن ما من شخص، ولا حتى أنت، يمكنه أن يرغمني على فعل ما لا أريده».

أعجبه دفاعها عن نفسها. وذكرته عينها المتألفتان بجيوان يدافع عن صغاره، وهذا ما كانت تفعله بالضبط. لكن شارلوت تخصه بقدر ما تخصها.

- أعطيني سبباً يمنعك من قضاء العيد معي.

كان واثقاً من أن لا عذر لديها ما عدا أنها لم تعد تحبه. لكن هذا ليس عذراً يجعلها تحرم ابنتها... ابنته منه. لم يكن يحب الأطفال



كثيراً، كما اعتاد أن يعمل في أيام الأعياد، لكنه، فجأة، وجد نفسه يتطلع إلى أخذ إجازة لكي يتعرف إلى هذه الطفلة الرائعة الجمال التي لا تزال تختلس النظر إليه من وراء أمها.

سيغرقها بالهدايا التي ترغب فيها، وسيكون عيداً مليئاً بكل الأمور الحلوة في الحياة.

وبعد ذلك؟ سيقبها معه، طبعاً، فهذا هو المكان الطبيعي لها ولأمها ولن يقبل بأقل من ذلك. أجابت بسرعة: «السبب هو أن شارلوت لا تعرفك. وفي الحقيقة، أنا لا أريدها أن تعرفك. تغيب الأب الدائم أسوأ من عدم وجوده على الإطلاق».

فسألها بجدّة: «ماذا تعنين بالأب الدائم الغياب؟ أنت التي هجرت البيت».

- لأنني لم أكن أراك قط. أي حياة كانت تلك؟ أنا لا أريد أن تتألم شارلوت كما تألمت أنا.

- إنك زوجتي. هل نسيت عهود الزوجية؟

- ماما... ماذا يحدث؟

سؤال شارلوت أرغمها على أن تلين قسماً وجهها وتنظر إلى وجه ابنتها الفلق.

- لا شيء يا حبيبتي. أنا لست واثقة مما إذا كنت أريد أن أقضي العيد مع... أريك.

وألمها لفظها كلمة (أريك)، فيما همست الطفلة وهي ترمقه بخجل: «أنا أحب أن أذهب».

شعر لويجي بالبهجة، إذ ربح نصف المعركة. كل ما يحتاجه الآن هو رضی میغان.

وأخيراً، قالت بصوت مخنوق: «يبدو أنك ستحصل على أميكتك.

أنت هكذا دوماً، اليس كذلك يا لويجي؟ لا يمكن لأحد أن يقف في طريقك. كم مليوناً أصبح لديك؟».

أدهشه هذا السؤال، لكنه أجاب بفخر: «ما يكفي لشراء متاجر جيرارد».

فهمتت غير مصدقة: «ماذا؟ أعرفك طموحاً لكنني لم أتصور أن تصل إلى هذا الحد... وبهذه السرعة. أين تسكن في هذه الأيام؟».

- لدي شقة هنا في لندن حيث أمضي معظم أيام الأسبوع، لكن بيتي في «سانلس».

- هل كنت تعلم أنني أعيش هنا؟

وبدا عليها الفزع لهذه الفكرة، فلوى شفثيه بمرارة: «أبدأ. كنت أطمئن إلى سير العمل في المتجر عندما سمعت هذه الطفلة تطلب من سائتا كلوز أن يمنحها أباً. هذا السؤال غير العادي جعلني أرافق الطفلة وهي تعود راضية إلى أمها. يمكنك أن تتصوري مدى ذهولي عندما رأيت أن أمها هي أنت».

فسألته والإتهام في عينها: «وهكذا أرسلت جواسيس في أثري لتعرف أين أسكن، اليس كذلك؟».

فردّ عليها بخشونة: «أما كنت لتصرفي بهذا الشكل لو علمت أن لك طفلة في الثالثة من عمرها لا تعرفين عنها شيئاً؟ لم أستطع أن أصدق أنك قد تفعلين هذا بي».

هزّت ميغان كتفيها بعدم اكتراث، بينما عاد يقول: «أرى أن نحزمي أمتعتك وتأتي معي».

- كلا. ثمة أسبوع بأكمله يفصلنا عن العيد، وعليّ أن أعمل لأعيش، ولن أنهي العمل حتى الخميس.

خاف من أن يخسر المعركة، فقال بجدّة: «عندما تعودين إليّ لن تحتاجي إلى العمل. اتركي العمل».

بدا عليها السخط وهي تحجب: «عفواً؟ لم أسمع».

- الأمر بسيط، أنا لا أريد لزوجتي أن تعمل. ثم هل لي أن أسألك أين تتركين شارلوت حين تذهين إلى عملك؟ أرجو أن تكون في أمان.

فأجابت بجدة: «هي طبعاً في أمان. لدينا حضانة للأطفال وفي لحظة واحدة، أكون معها عند الاستدعاء، ثم أنا مضطرة للعمل وإلا فكيف أعيش؟».

ردّد بفروغ صبر: «أنت لست مضطرة لذلك لأنك ستعيشين معي. إنه مكانك المناسب».

الآن، وبعد أن علم أن له إبنة منها، لن يسمح لها بأن تهرب مرة أخرى. قالت بخشونة: «ليس لك أن تخبرني بما عليّ أن أفعله، فأنا لست جاريتك ومن الأفضل أن تتذكر ذلك. سنأتي، أنا وشارلوت، إليك يوم الجمعة وليس قبل ذلك. وحالما ينتهي العيد سنعود إلى هنا».

قرر ألا يتشاجر معها أمام الطفلة، لكن الوضع لم يعجبه. وسيعلم ميغان بذلك في أول فرصة. قالت بجمود: «سأرسل إليكما سيارة». فرفعت رأسها: «لا حاجة لذلك، أعطني عنوانك ونحن سنأتي إليك».

وتشابكت نظراتهما باردة متحدية، ثم قال بجدة: «لا تكوني سخيفة. ستحضر سيارتي في العاشرة فكوني جاهزة. ثم ... ميغان ... إياك أن تحاولي الهرب مرة أخرى».

\*\*\*

قالت شارلوت باستياء بعد أن خرج أبوها: «ماما، أنا أحب بابا الجديد. أردت أن أذهب معه».

كانت أمها تحتلس النظر إليه من النافذة وهو يستغل سيارته الفارعة السوداء، فقالت: «أعلم أنك كنت تريد ذلك، يا حبيبتي. لكن أمك مضطرة للعمل. لا يمكنك أن آخذ إجازة وإلا فقدت وظيفتي».

- هل سيعود مرة أخرى؟

فقالت وهي تدعو الله لثلا يعود: «لا أظن ذلك. لكننا سنذهب قريباً إلى بيته».

- أين يسكن؟

- لا أدري.

- لماذا لا نعيش معه؟ والد لورا يعيش معهم ووالد كاتي أيضاً.

عادت ميغان إلى الغرفة وضمت ابنتها إليها: «أحياناً يا حبيبتي، يزول الحب بين الأب والأم فيسكنان في منزلين منفصلين لأنهما إذا لم يفعلا ذلك فيتشاجران على الدوام».

- وهل اعتدت أن تتشاجري مع بابا؟

- كلا، في الواقع.

- لماذا إذن لا تعيشان معاً؟ أنا أريد ذلك. أريد بابا معي طوال الوقت.

كيف يمكنها أن تشرح لطفلة في الثالثة من عمرها أن أباهم مدمن على العمل ولا يهتم بأسرته؟ ولحسن الحظ، اتصلت جيني في تلك اللحظة، وعندما فرغت من الحديث، كانت شارلوت قد نسيت سؤالها.

لكن النهار كله كان قد فسد بالنسبة إلى ميغان. اعتادت جيني وخطيبها أن يمكثا في المنزل مما لا يدع لميغان وابنتها مجالاً للانفراد. ولهذا كانت تتطلع بلهفة إلى هذه الفرصة. لكنها الآن انشغلت بفكرة تمضية أيام العيد مع لويجي.

كان عليها أن تكون قوية وترفض. لكن كيف تحرم ابنتها مما قالت بصراحة إنها تريده؟ سيعذبها ذلك بكل تأكيد. لكن لا يمكنه أن يقنعها بأن تنتقل إلى شقته.

كانت الأيام الأربعة التالية جحيماً. قامت بالتسوق للعيد من دون أن تقبل حتى بالتفكير في أن تشتري هدية للويجي. ولماذا تشتري له هدية وهي مشتمزة من حقيقة أنه أرغمها على قضاء فترة العيد معه؟

بدا لها أنها قد تهرب مرة أخرى، لأنها لن ترضى بأن تعيش بقية حياتها مع رجل لم ولن يعرف الحب طوال حياته. كما أنه ليس من العدل أن تعرّض ابنتها لوضع كهذا.

كانت جيني وخطيبها سيمضيان العيد في باريس، وهذا سبب آخر

جعل ميغان تتطلع لقضاء العيد مع ابنتها وحدهما.  
ليلة العيد نعمّ الفوضى عادة إذ يشرع الجميع في الاستعداد في وقت واحد. وأخيراً، غادرت جيبي وخطيبها، بينما جاءت السيارة لتقل ميغان وابنتها، حتى قبل أن تلتقط أنفاسها.  
كانت تتوقع سائقاً مهذباً لا مبالياً، لكن الضيق تملكها وهي ترى لويجي يقود السيارة بنفسه. كانت شارلوت تنظر من النافذة فأطلقت صيحة ابتهاج رغم أنّ خجلها السابق عاودها عندما دخل أبوها إلى البيت.

- هل أنتما جاهزتان؟

كان يرتدي بذلة رمادية اللون بالغة الأناقة وقميصاً ناصع البياض وربطة عنق بلون العشب فبدأ مثالاً لرجل الأعمال الناضج، البالغ الوسامة، فلم تستطع ميغان أن تتجنب موجة من المشاعر القديمة التي كانت تملأها ذات يوم بالحماسة. أترأه أخذ إجازة من العمل ليقابلها؟ وهل سيعود مباشرة؟ سيكون هذا أفضل لأنهما ستتمكنان من أن تتجولا وحدهما في أرجاء المنزل تفرجان عليه.

لم تستطع أن تمنع فضولها. أترأه باع بيته في دربيشاير أم ما زال يملكه أيضاً؟ لطالما تحدّث عن مدى حبه لتلك المنطقة بريفيها الرائع الجمال وقراها الصغيرة البهيجة.

قالت: «أنا جاهزة تماماً».

فسألها بنظرات صلبة متسائلة: «أراك ما زلت غير سعيدة بقضاء العيد معي!».

- هذا صحيح.

- ربما من الأفضل أن آخذ شارلوت وحدها؟ ثم أتركك هنا لكي

...

- لا تحلم بذلك!

بدت على شفّته ابتسامة خفيفة راضية ليست من النوع الذي يصل

إلى عينيه أو من النوع الذي يجعلها تلقي بنفسها عليه لتعانقه. كانت من النوع الذي يبنى بالرضا لتحقيقه هدفه.

- هذا حسن، فلنخرج إذن. هل هذه أمتعتكما؟

لم تكن الأمتعة كثيرة. حقيبتان صغيرتان، واحدة للملابسها وأخرى للهدايا التي اشترتها لابنتها. وقد رآته ينظر إليها مشككاً ثم قال: «سنعود بعد العيد لناخذ بقية أمتعتكما، أليس كذلك؟».

- لن نبقى هناك. ألم أوضح لك ذلك؟

- تماماً، لكنني ظننتك غيرت رأيك.

فقالت بصوت منخفض: «لن أغيره أبداً».

لم تشأ أن تسمعها ابنتها تجيب أباها الذي عثرت عليه حديثاً بفظاظة. لكن لويجي سمع التصميم في صوتها فزّم شفّته عابساً.

حمل الحقيبتين ثم توجه إلى السيارة. بدتا صغيرتين في يديه بشكل مضحك. وعندما ألقى بهما في صندوق السيارة أرادت ميغان أن تصرخ قائلة إنها غيرت رأيها. لقد تملكها شعور قوي بأنها إذا ذهبت الآن مع لويجي فستغير حياتها إلى الأبد.



## ٢ - وتحققت الأمنية

شهقت ميغان حين رأت منزل لويجي . كان قد توجه بهما إلى ريف «ساسكس» وتوقف عند بوابة حديدية ضخمة حيث ضغط على جهاز التحكم عن بعد فانفتحت ليتابع السير في طريق ملتو ويقف أمام منزل ضخم جاثم على قمة تلة . كان المنزل مبنياً بحجارة ضخمة رمادية اللون، وأعمدة عديدة تشكل المدخل الأمامي .

سأله غير مصدقة: «هل تسكن هنا؟»

تملكت الرهبة شارلوت فجلست على حافة مقعدها وأخذت تنظر إلى المنزل متسعة العينين . سألتها: «هل أعجبك؟»

إذا ظن أن إعجابها بالمنزل سيجعلها تعود للعيش معه، فهو مخطيء تماماً .

أجابته: «إنه ليس كما تصورت . كما أنه كبير بالنسبة إلى رجل يعيش وحده، أليس كذلك؟ إلا إذا كنت لا تعيش هنا وحدك» .

وانجهدت أفكارها على الفور إلى سكرتيرته الرائعة الجمال . هل ما زالت سيرينا تعمل معه؟ هل أصبحت الآن جزءاً من حياته؟ في بداية حياتها مع لويجي كان لا يكف عن كيل المديح لها ما جعل الشك يملك ميغان، لا سيما عندما راح يطيل السهر في العمل . لقد أنكر ذلك، بالطبع، لكن مخاوفها استمرت وكانت جزءاً من السبب الذي دفعها إلى أن تهجره .

أجاب: «أنا وحدي هنا» .

ارتاحت لجوابه هذا لأنها كانت ستصرّ كي يعيدها وابنتها إلى بيتها

لو كانت سيرينا هنا . لكنه أضاف يقول وهو ينظر بجدة إلى عينيها المتزعجتين: «حالياً» .

تجاهلت قوله هذا . وعندما اقتربوا من المنزل، انفتح الباب وبدا منه رجل أبيض الشعر في بذلة سوداء، فقال له لويجي باسمًا: «أعرفك بزوجتي ميغان، يا وليام، وابنتي شارلوت» .

أخنى وليام رأسه: «ميغان . . . شارلوت . هل أخذهما إلى غرفتهما يا سيدي؟» .

- سأفعل ذلك . أخبر الطاهية أننا هنا وأنا ستناول الشاي في غرفة الجلوس .

تملك ميغان الذهول . إنه ثراء أسطوري . كانت تعرفه ماهراً وطموحاً، لكن أن يتمكن من شراء مخازن جيرارد وهذا البيت خلال هذه الفترة القصيرة من الزمن، هذا ما لم تستطع أن تفهمه . كيف تمكّن من ذلك؟

ولم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل عما لديه من مشاريع عدا ذلك . . . نادٍ لكرة القدم من الدرجة الأولى؟ يخط؟ منزل في بلد أجنبي لقضاء الإجازات؟ يبدو وكأن العالم أصبح رهن إشارته هذه الأيام . وربما لديه كل هذه الأشياء . لكنها لم تندم على خسارتها لكل هذه الأمور لأنها تعلم أنه عمل من دون شك طويلاً لكي يصل إلى ما وصل إليه، ولم يكن هذا هو نوع الحياة التي تريده .

كانت وشارلوت قانعتين في بيتهما الصغير . كانت تشعر بالرضى حين تسدّد حساباتها ثم تطهو وتنظف وتعدّ جواً سعيداً لابنتها . لن يعجبها العيش هنا، لا سيما بشكل دائم . فهذا ليس بيتاً بل تحفة للعرض .

لم ترّ ذرة من الغبار في أنحاء الردهة الفسيحة أو على السلم العريض الذي صعدها . كانت الأزهار تنفث عطرها في الأنحاء فيما التماثيل الرخامية تملأ فجوات في الجدران التي تزيّنها أشهر اللوحات الزيتية .

تبعنا لويجي في الممرات إلى أن توقفوا عند مجموعة من الغرف. فتح الباب فدخلت إلى غرفة تكسو أرضها سجادة زرقاء ويقوم فيها سرير بأربعة أعمدة أسدلت عليه ستائر زرقاء هي أيضاً. كما رأت فيها كرسيين منجدين بقماش دمشقي بلون القشدة، وكانت الستائر من اللون نفسه. بدا كل ما في الغرفة أنيقاً للغاية وإنما ليس الخيار الذي تفضله. وشعرت بقشعريرة خفيفة تسري في جسدها...

بدا لها أن لويجي ينتظر منها أي تعليق، لكن عندما لم تعلق، فتح باباً في الغرفة كاشفاً عن غرفة أخرى مليئة بكل ما يخطر في البال من لعب ودمى. اتسعت عيننا شارلوت وركضت إلى الداخل وهي تسأل بلهفة وعجب: «هل هذه كلها لي؟»

فقال: «إنها غرفتك طوال المدة التي تريد البقاء فيها».

حالما اختفت شارلوت في الداخل، همست ميغان بصوت كالفحيح: «كيف تجرؤ على فعل هذا بها؟ هذا هو الابتزاز بعينه. أنا لم أغبر رأيي. عندما ينتهي العيد، سنغادر هذا المكان».

فقال بابتسامة ذات معنى: «ستحدث في هذا الأمر».

هذا يعني أنه لن يدعها تفعل. حسناً... هذا ما ستفعله! ستقتله إذا لزم الأمر. لكنهما، في الواقع، لن تقدم على عمل بهذا التطرف، بل ستجد طريقة تجعله يغير رأيه. قالت ببرودة: «أنا جادة، يا لويجي».

- وأنا جاد بالنسبة إلى انتقالكما للعيش معي. لا شيء يمنعكما من ذلك.

- ما عدا أنني لم أعد أحبك.

ضاعت عيناه: «هل من رجل آخر؟»

- هذا ممكن.

ولماذا عليها أن تخبره أنها لم تعرف رجلاً منذ هجرته؟ إنه لا يستحق أن يعرف شيئاً.

فقال غاضباً وهو يمسك بكتفيها: «أخبريني، هل من رجل آخر؟»

لأنني سأخذ شارلوت منك إذا كان في حياتك رجل. لن أسمح لرجل آخر بأن يربي ابنتي».

صدمتها لهجته الغاضبة الحادة، فقالت: «ارفع يديك عني. ما أفعله في حياتي الخاصة لا شأن لك به. لقد رعيت شارلوت جيداً وهذا كل ما عليك أن تهتم به».

زفر غاضباً وقال: «شارلوت بحاجة إلى أبيها، إلى أبيها الحقيقي. إذا كان هذا لا يرضيك فأخرجني من هنا لكن شارلوت ستبقى».

لم تصدق ميغان ما سمعت فأحمرت عينها غضباً، وأخذت تضربه على صدره بقبضتيها حتى تعبت. لكنه اكتفى بأن طوقها بذراعيه القويتين وشدها إليه، ما أثار مشاعرها. رياه... هذا آخر ما تريده.

لا بد أن ما سرى في كيانه غضب. وهل يمكن أن يكون خلاف ذلك؟ ابتعدت من بين ذراعيه وحملت فيه غاضبة: «أنت حقير يا لويجي

كوستانجو، لا أصدق أنني سمحت لإرهابك بأن يجعلني أحضر إلى هنا».

- إرهاب؟ أسألني ابنتك إذا جاءت بدافع الإرهاب. لقد جاءت لأنها محرومة، وإلا لما طلبت (بابا) كهدية للعيد؟ ما فعلته بها أمر مفرع، وأنا أنوي أن أعوضها عن السنوات الضائعة. كوني واثقة من ذلك.

سرت في كيانه ميغان رعشة باردة، فسألته وهي تحملق في عينيه المتحجرتين وقد تصلب جسمها: «هل هذا تهديد؟»

- أفهميه كما تشائين.

- ما الذي تقوله بالضبط؟

- أقول إن شارلوت ستبقى لو لم تقبلي بالبقاء هنا.

هذا ما كانت تخشاه. ملاحظتها كلامه رعباً بشكل لم تستطع معه التنفس فأخذت تعبّ الهواء. إنه جاد في كلامه ويمكنه القيام بذلك. ولسوء الحظ، تركها هذا من دون خيار آخر سوى الانتقال إلى بيته مع ابنتها. لكنها لن تدعه يعلم أنه نال مبتغاه بسهولة وستقاتله بكل جهدها قبل ذلك.

وبعد العيد، عندما يكتشف كم من الوقت تتطلب تنشئة الطفل، قد يغير رأيه. إنها واثقة من أنه لا يدرك حقاً ماذا تعني تربية طفلة بالغة النشاط والحوية.

- هذه كلمات جافة، يا لويجي.

- وأنا أعنيها.

- هل خطر لك أن شارلوت قد لا ترغب في الانتقال إلى هنا؟ هذا المكان ليس بالضبط ما أسميه بيتاً.

فقال مقطباً: «ألم يعجبك؟».

- إنه عظيم وفخم. هذا صحيح. لكنك تقول للناظر (انظر إلى طريقة حياتي، انظر إلى مبلغ ثرائي). إنه لا يقول إنك سعيد أو مرتاح. ليس لدي وقت للراحة.

- بالضبط. وهذا ما ستطلبه ابنتك... الوقت... وقتك! كيف يمكنك أن تعطيتها هذا بينما أنت مشغول بجمع ملائنتك؟

- يمكن ترتيب الأمور.

شخرت ساخرة: «ترتيب الأمور؟ إنك تتكلم وكأنه عرض يتعلق بالعمل. هذا لن ينجح، يا لويجي، وأنت تعلم ذلك. عندما قالت شارلوت إنها تريد أباً كانت تعني أباً بدوام كامل وليس شخصاً يحاول أن يرتب وقته ليراها».

التمعت عيناه لكنه لم يستطع أن يرد وهو يرى شارلوت تندفع عائداً إلى الغرفة: «ماما... تعالي وانظري ما عندي».

هذا جنون من لويجي. هذا ما خطر لميغان وهي تتأمل أكوام الألعاب في غرفة شارلوت. هل يظن أن هذا يعوّض عن السنوات الماضية؟ إنه لا يملك أي فكرة عن احتياجات الأطفال. وكلما فكّرت أكثر في أنه ينوي أخذ شارلوت منها، ازدادات غضباً.

- ألم تتكلم عن تناول الشاي؟

أرادت أن تخرج من هذه الغرفة حيث الهدايا التي لا تُحصى التي

جليها لابنته.

- ألا تريد أن تفرغي حقائبك أولاً، أم ينبغي أن أطلب ذلك من

...

أجابته بحدة: «بل سأفعل ذلك أنا بنفسني».

يبدو وكأن لديه جيش من الخدم. فهل هو سعيد حقاً بمثل هذا النوع من الحياة؟

خرجت من الغرفة وفتحت حقيبتها. استغرق إخراج ملابسها القليلة وتعليقها أقل من دقيقتين. أما حقيبة الهدايا فبقيت مغلقة.

وعندما عادت إلى غرفة شارلوت مرة أخرى، كان لا يزال واقفاً حيث تركته. لو كان والداً حقيقياً لركع على ركبتيه وأخذ يلاعب ابنته... ولكن ليس لويجي. كان راضياً بالنظر إليها، فهو لا يعرف كيف يلاعبها. وكادت تجن وهي تراه متفوقاً في عالم يحتل المال المرتبة الأولى فيه.

عادوا يهبطون السلم إلى غرفة الجلوس ذات السجادة الزرقاء حيث التحف المصنوعة من الخزف الصيني. وعلى مائدة من خشب الورد، كان الشاي بانتظارهم.

كانت الأطباق المصنوعة من الخزف الصيني أنيقة للغاية. وقد غُطي الإبريق بغطاء يحفظ الحرارة كما صُفّت البسكويت في طبق. رأت ثلاثة أكواب وثلاثة أطباق صغيرة، ما يعني أن شارلوت ستجلس معهما. أكلت شارلوت معظم البسكويت لكنها رفضت الشاي، وسألت بأدب: «أيمكنني أن أحصل على كوكاكولا؟».

شعرت ميغان بالتسلية حين اعترف لويجي بأن ما من كوكاكولا في منزله، فرضيت شارلوت بأن تشرب الحليب. ثم قالت ببراءة: «يمكننا أن نذهب للتسوق. هذا ما فعله أنا وماما عندما ينقصنا شيء».

فقال الأب: «عليّ أن أعود إلى العمل سريعاً».

وفكرت ميغان في أن هذا هو لويجي... لم يتغير أبداً... لكنها،

في الواقع، شعرت بالارتياح عندما خرج وبقيت هي مع ابنتها وحدهما فأخذتا تجولان في أنحاء البيت تتفرجان عليه معاً. أخذت ابنتها تركض من غرفة إلى غرفة وقد أذهلها حجم المكان، ما أغضب ميغان. هل هذا هو النجاح بالنسبة إليه؟ هل يحاول شراء السعادة؟ إذا كان الأمر كذلك فقد فشل تماماً.

بالنسبة إليها كان هذا مكاناً خالياً من الحب. هذا ليس منزلاً عادياً لأسرة وهي لا تستطيع أن تتصور شارلوت سعيدة فيه. وما زاد من ضيقها أنها لم ترَ أثراً لزيينة عيد الميلاد في الأنحاء. لماذا دعاهما إذن لقضاء عيد الميلاد معه إذا لم يكن ينوي أن يحتفل به؟

لم تتوقع ميغان عودة لويجي من العمل قبل ساعات، فأدهشها أن تراه يعود عند العصر حاملاً شجرة ميلاد ضخمة. هتفت شارلوت بفرح، وأمضى الجميع ساعتين في تزيين الشجرة التي أحضرها. ذُكر هذا ميغان بأول عيد ميلاد أمضياه معاً عندما كانا عروسين. كانت سعيدة للغاية. حينذاك، دخل لويجي كما فعل الآن، وأمضيا وقتاً طويلاً في تزيينها لأنها كلما حاولت أن تعلق الزينة كان يطوقها بذراعيه ويقبلها.

كانا قد سميها (شجرة الحب)، ولكن عمله كان يزداد مع كل عيد جديد فلا يعود إلى البيت إلا في ساعة متأخرة من ليلة العيد، بعد أن تكون ميغان قد انتهت من تزيين الشجرة وحدها. وشيئاً فشيئاً تلاشى سحر الشجرة.

- أنظري، يا ماما، أنظري.

كانت شارلوت تجلس على كتفي أبيها وقد وضعت لتوها (الجنينة) على قمة الشجرة وهي تقول: «أليست جميلة؟».

- إنها جميلة، يا حبيبي.

- متى سيأتي سانتا كلوز؟

- الليلة، وأنت في الفراش.

فسألته بحماسة: «هل يمكنكني الذهاب إلى سريري الآن؟».

- لا يا حبيبي. الوقت ما زال مبكراً.

- هل سيحضر هداياي إلى هنا؟

- طبعاً سيحضرها.

- ولكن كيف سيعلم أنني هنا؟

- لأنه ساحر. إنه يعرف مكان الأطفال كلهم من صبيان وبنات.

أنزل لويجي طفله إلى الأرض. وعندما فعل ذلك التقت عيناه بعيني ميغان. وسواء بسبب سحر المناسبة أم لأنها كانت تفكر في أول عيد ميلاد لهما معاً، شعرت بسهم يخترقها فاستدارت مبتعدة بسرعة. كان هذا تحذيراً لها بأن تنتبه فهي لا تريد أن تتورط مع لويجي مرة أخرى لا سيما قبل أن يغير طريقة حياته. وهي لا تتوقع أن يحدث ذلك ولو بعد مئة عام.

أفكارها هذه جعلتها تشعر بخطورة حضورها إلى هنا. كان عليها أن تثبت على ممانعتها حتى لو خيَّب ذلك أمل ابنتها. لكن هذا لا يعني أن لويجي كان سيسمح لها بذلك، فقد كان مصراً على أن تمضي ابنته العيد معه، مع أمها أو من دونها.

\*\*\*

شعر لويجي بموجة من السرور تكتسحه حين حمل ابنته عالياً. تملكه شعور لم يعرف مثله قط، هذه ابنته... لحمه ودمه... إنها ليست أقل من معجزة، وهو لا يريد أن تذهب، بعكس أبيه الإيطالي الوسيم وأمّه الإنكليزية عاشقة اللهب التي لم تشأ إنجابها قط، إذ كانت ولوعاً بالحفلات بدلاً من العناية بابنتها.

عندما كان في الثامنة من عمره، أخذ منها ودفع به إلى من يرعاه. حتى حينذاك، أخذوا ينقلونه من أسرة إلى أسرة لأنه كان عنيداً صعب المراس ما جعله ملبئاً بالغضب والإستياء. كما أنه هرب مرات عدة من جرّاء المعاملة التي كان يتلقاها. لم يستقر قط ولم يعرف أبداً معنى أن يكون محبوباً حقاً.

هذا ما جعله ذلك الرجل الحشن الذي هو عليه الآن. كل هذا جعله يقرر أن يحقق شيئاً في حياته. كان ذكياً سريع التعلم، وفي السادسة عشرة ترك المدرسة واستلم أول عمل له في شركة إعلامية.

كان قد جمع بعض النقود أثناء دراسته، إذ اعتاد أن يساعد زملاء الدراسة في تحضير واجباتهم المدرسية لقاء أجر. كما كان ماهراً في الكمبيوتر، فنشر صحيفة للمراهقين راح يشتريها العشرات من أصدقائه في المدرسة وخارجها. كان يبيع أي شيء يحقق له ربحاً. وعندما ترك المدرسة كان قد جمع ما يقارب الألف جنيه. لكنه كان يطمح إلى جمع مليون قبل أن يبلغ الثلاثين.

منحه المال الشعور بالاطمئنان والاستقرار، وهو ما لم يعرفه قط. أله عدم إعجاب ميغان ببيته، فهذا في نظره ذروة ما أنجزه.

وسألت شارلوت: «أتظنين يا ماما أن سانتا كلوز لن يعطيني الآن شيئاً آخر، لأنني طلبت منه أن يعطيني بابا فأعطاني؟».

أجابت أمها وهي تضمها بين ذراعيها بقوة: «طبعاً سيعطيك، يا حبيبتى».

تملك لويجي حزن بالغ. لم يشعر قط بذراعي الأم تطوقانه بهذا الشكل. كل ما كان يعنيه لأمه هو أنه مزعج، وشخص عليها أن تطعمه وتكسوه ثم تطلب منه الابتعاد عن طريقها. كانت تتركه في البيت وحده لفترات طويلة.

قال لابنته بدوره: «أظن أن سانتا كلوز سيرك لك الكثير».

وأزعجه أن تلقي عليه ميغان نظرة جهنمية. ما الذي تتوقعه؟ ألا يهدي ابنته شيئاً؟ وهل الألعاب القليلة التي وضعها لها في غرفتها كافية؟ إنها مجرد ألعاب قليلة تجعلها تشعر وكأنها في بيتها. فلتنتظر إلى الغد حيث ستكون أسعد طفلة في الوجود.

كما لا ينوي أن يستثني ميغان، رغم تصريحها بأنها غير مسرورة لرؤيته. كل هذا سيتغير عندما تدرك أن من الأفضل لشارلوت أن يكون

لها أب إلى جانب أمها. إنه واثق من ذلك.

لم يستطع أن يفهم سبب إخفاء ميغان خبر وجود ابنته عنه. لو لم يرها في المخزن لما علم بأمرها أبداً. كانت شارلوت ستكبر وتنجب أولاداً، هم أحفاده، من دون أن يعلم.

هذه الفكرة بالذات جعلت الغضب يتملكه، وأدرك أن عليه أن يعرف الحقيقة الكاملة. هل كانت ميغان صادقة حين قالت إنها تركته لأنه يمضي في العمل ساعات طويلة؟ أم أن رجلاً آخر دخل حياتها؟ وهل ما زال ذاك الرجل الآخر فيها؟ رجل كان يدخل إلى بيتها ويخرج منه، مثلاً؟

توترت شفتاه لفكرة وجود رجل آخر في حياتها، وفي حياة ابنته أيضاً هذا الرجل هو سبب عناد ميغان وإصرارها على قضاء أقل وقت ممكن في بيته.

جاءت الفرصة حالما رقدت شارلوت في سريرها. وقف ينظر معجباً إلى العلاقة المثينة بين الأم وابنتها. هذا ما كان يريده. هذا ما افتقده دوماً، ما جعله يقسم على أن يجعل من ميغان وشارلوت جزءاً من حياته... وإلى الأبد، سواء بالقوة أو بالرشوة!

إنهما لا يزالان زوجين ما يسهل الأمور. وتساءل عما منع ميغان من طلب الطلاق. أما هو فلم يصادف امرأة أغرته بأن يتزوجها رغم أن فتيات كثيرات راغبات في الزواج منه يلاحقنه. أما ميغان فما قصتها؟ أتراها تحب الرجل الذي يشاركها البيت؟ وأي نوع من الرجال هذا الذي يرضى بالعيش مع امرأة لن تكون له زوجة أبداً؟

قالت ميغان وهي تترك سرير ابنتها لترى لويجي ما زال واقفاً: «لقد نامت أخيراً. إن الحماسة تتملكها للغاية. النوم في بيت غريب، والتساؤل عما يحضره لها سانتا كلوز، كل هذا كثير على طفلة بسنها».

- وهل سيكون كثيراً على أمها أن تنام في بيت غريب؟ بيت لم يعجبها بشكل خاص؟



ولم يستطع أن يخفي المرارة في صوته فقد خيبت أمه حين لم تعجب  
بالمزمل مثله. توقع منها أن تعجب بمدى نجاحه. أمل، في الواقع، أن  
يشكل هذا عاملاً فاعلاً في جمع شملهم جميعاً.

- لا أظنني سأنام طويلاً.

- هل الحماسة تملكك أنت أيضاً.

- أبدأ. أتمنى لو كنت في أي مكان ماعدا هذا.

شعر وكأنها ضربته في معدته، وافترض مكرهاً أنها كانت صادقة  
بالنسبة إلى سبب هربها. لكنه أرغمها على القدوم إلى هنا، وهذا لا يعني  
أنه نادم على ذلك. فقد شعر أنهما ستعتادان على هذا المنزل حتى تحبانه  
أخيراً. إنهما بحاجة إلى وقت، لا سيما ميغان. أما شارلوت فيبدو أنها  
سعيدة. لكنه غير واثق من أن سعادتها هذه ستدوم إذا لم تبق أمها. كان  
يعلم أنها لن تبقى، ما جعل من الضروري أن يقنع ميغان بالانتقال إلى  
هنا لتقيم بشكل دائم.

عليه أن يعاملها برفق. لكن هذا سيكون صعباً عليه لأنه لم يتعود  
كبح طباعه. عليه أن يربها ما الذي ستخسرانه، هي وشارلوت، إذا  
عادتا إلى ذلك البيت الصغير الضيق. فبالرغم من أنها جعلته مريحاً  
ويوحي بجو عائلي، إلا أنه لا يقارن ببيته.

ألا تدرك ميغان أن شارلوت ستعيش برفاهية أكبر هنا؟ ليس فقط  
بسبب مساحة المنزل. بل بسبب الأراضي المحيطة به، فثمة ملعب تنس،  
وغابة صغيرة وبركة سباحة، وبحيرة. إنه حلم الأطفال. كما أن ثمة  
إصطبلات للخيل رغم أنه لم يشتر خيولاً بعد، ولكن إذا أرادت  
شارلوت واحداً صغيراً فسيبئعه لها.

وأجابها: «ما زال الوقت مبكراً لكي تقررني ما إذا كنت ستشعرين  
بالسرور هنا، عندما...»

فقاطعت: «ليس بسبب المنزل فقط رغم أنني أظنه متكلفاً جداً. هناك  
أنت أيضاً. إنك مهووس بالمال ولطالما كنت كذلك. إنك نظن أن

بإمكانك أن تشتري السعادة. حسناً، دعني أخبرك أيها السيد الغني...  
يمكنك أن تكون سعيداً ولو عشت في كوخ ما دمت تعيش مع الشخص  
المناسب».

- هل وجدت أنت الشخص المناسب؟

لم يستطع أن يتجنب الحدة في صوته. إنه يريد أن يقتل ذلك الرجل،  
أياً كان، فهذه زوجته.

- كنت أتحدث بشكل عام.

وحملت فيه بعينين متسعيتين فلاحظ مدى جمالها، لا سيما بوجهها  
المتوهج بعد غسلها ابتها قبل النوم. كان شعرها مشعثاً نوعاً ما، وشعر  
بأنه يريد أن يأخذها بين ذراعيه ويعانقها. أراد أن يثبت لها أن حبهما  
ما زال حياً لكنه ضاع وحسب. قال: «لكن ثمة رجل آخر فأنت لم تنفي  
ذلك عندما سألتك منذ فترة كما أنني رأيتك بنفسك».

اتسعت عيناها: «رأيتك؟»

- تعالي واجلسي بجانبني. علينا أن نتحدث.

وقادها إلى الطابق السفلي، إلى غرفة صغيرة مريحة ذات جدران  
مغطاة بالوواح من الخشب تزينها مدفأة كانت ستائرهما المخملية الحمراء  
مسدلة تطرد البرد، كما نشر المصباح على الطاولة ضوءه الدافئ. بعض  
قطع الأثاث هذه اختارها بنفسه. كانت الغرفة كثيرة الأثاث لكنها  
تعجبه.

قال: «إنها غرفة عملي الخاصة. إنها...»

قاطعت: «أصغر غرفة في المنزل. وهذا يثبت أنك لست بحاجة إلى  
بيت بالغ الفخامة، لأن الغرفة الكبيرة جداً لا يمكن أن تشعر فيها  
بالارتياح».

- أنت إذن تقولين إن الأصغر هي المريحة؟

جلس على كرسي أمامها ليتمكن من أن يتفحص ملامحها، ثم مد  
ساقه، بينما أجابته: «تماماً».

- لهذا السبب أنت سعيدة في بيتك؟

- نعم.

- إذن، ليس لأنك لا تستطيعين دفع أجرة بيت أكبر؟

رباه! إنها تبدو له أجل من أي وقت مضى. كم هو أحمق لأنه توقف عن البحث عنها! سيعدها بالعالم كله لو رضيت بالعودة إليه. لكنه وبدلاً من ذلك، تخلّى عن البحث وعاد إلى العمل الذي يهيمه حقاً، ولم يدرك غلطته إلا الآن.

قالت ميغان باستياء: «ها أنت تتحدث مرة أخرى عن المال. لقد سبق وقلت لك إن المال لا يهمني».

- أنت مختلفة عن غيرك، يا ميغان. هل تعلمين هذا؟

- هل لأن النساء اللاتي عرفتهن اهتممن برصيدك في المصرف أكثر من اهتمامهن بشخصك؟

مست كلماتها منه وترأ حساساً فهي صحيحة تماماً. لم يعرف قبل أن يكون ثروته مدى ولع بعض الفتيات بجمع المال. وسره أن ميغان ليست مثلهن، لكن أفاظه أنها لم تعجب بإنجازها في جمع الثروة. قال محاولاً أن يبدو رقيقاً فيما رغب في أن يهزها هزاً: «ستكون الحياة أسهل بالنسبة إليك إذا انتقلت إلى هنا».

لم يكن لديه فكرة عن مدى عنادها وهذه ناحية منها لم تظهر في سنوات زواجهما الأولى.

أجابت بجدّة: «لن تكون الحياة كذلك».

فهم من لعان عينيها أنها تعني أن الحياة معه ستكون منفرة، فأله هذا وقال: «لن نحتاجي إلى العمل مرة أخرى. وهذا حلم كل امرأة».

- أعلم أن عدم اضطراري لترك شارلوت أمر رائع، لكنها تحب أن تلعب مع الأولاد الآخرين في الحضانة، كما ستذهب قريباً إلى المدرسة.

- وهل هذا يشكّل فرقاً؟ ماذا لو مرضت؟ هل يمكنك أن تنفري لها؟ هل سيفهم رئيسك في العمل ذلك؟ اعترفي يا ميغان، ستكونين

أفضل حالاً إذا تركت عملك وانتقلت إلى هنا، إلا إذا كان لديك صديق طبعاً! هل هو من يمنعك من الهجى؟

صرخت به بصوت مرتفع: «أكنت تتجسس عليّ؟ هذا عمل وضعي للغاية».

لم يكن يعتبر هذا وضعياً. أراد أن يعلم أين تعيش، وما هو نوع حياتها. أراد أن يتأكد من أنها لن تهرب مرة أخرى. هل هذا خطأ؟

قال: «على أن أعترف بأنني عندما اكتشفت عنوانك، أخذت أراقبك. لم يكن هذا بنية التجسس يا ميغان، بل كنت أرجو أن ألحك

فتتحدث. كنت أفضل ذلك على أن أطرق بابك فأفاجئك».

فأجابت بلهجة لاذعة: «بل قل تخيفني».

- أخبريني عن صديقك. يبدو أنه لم يطلب منك الزواج وإلا لطلبت الطلاق مني. هل لديه عمل جيد؟

- لا أظن أن هذا من شأنك.

- إنه من شأني لأنك زوجتي.

- بالاسم فقط. لقد انتهى زواجنا منذ زمن طويل.

- لماذا لم تطلي الطلاق إذن؟

وكانت هذه نقطة لصالحه. أجابت: «لم أفكر في ذلك قط».

فقال: «لأنك كنت ترجين في سرّك أن نعود إلى بعضنا البعض يوماً ما».

- أنت تعلم أن هذا غير صحيح. وبما أننا فتحنا هذا الموضوع فدعني أوضح لك أنني لن أعود إليك. أبداً! ومن الأفضل أن نبدأ إجراءات الطلاق حالما ينتهي العيد.

أذهله كلامها هذا فأخذ يتأملها: «الطلاق؟ الآن بعد أن وجدنا بعضنا بعضاً مرة أخرى؟ ولدينا شارلوت لنفكر فيها؟».

رغم دفء نار المدفأة، خرجت هذه الكلمات من قلب ملاء الصقيع، وشعر وكأن جسمه كله أصبح محاطاً بالثلج. كان هذا آخر ما

توقعه . . . أو أراده . ما كان بإمكانها أن تقدم له هدية عيد أقي من هذه .

ردت عليه بجدة: «أنا جادة تماماً . لسنا منسجمين فكل منا يريد من الحياة شيئاً مختلفاً» .

- أنا أريد شارلوت .

كان عنيداً للغاية من هذه الناحية، أما مرافقة ميغان لها فأمر يعود إليها . لكنه لن يدع الطفلة ترحل معها فهي أغلى من كل الأموال بالنسبة إليه . وأدهشته هذه الفكرة لأن رصيده في المصرف أغلى ما لديه عادة .

- شارلوت لن تبق بدوني وحيث أن لا . . .

- ليس لديك خيار . إنك هنا الآن، ستبقين سواء شئت هذا أم أبيت .

### ٣ - تحذير أم تهديد

سألته بصوت مخنوق وهي تراه جاداً للغاية: «هل هذا تحذير؟» .  
فأجاب: «إنه ليس تحذيراً بل حقيقة واقعة، وإذا حاولت أن تتحديني فسأجعل كل محكمة في البلاد تتعقبك . لقد أخفيت عني ابنتي كل هذه السنوات، ولن تغلبي من العقاب» .  
تملك ميغان الرعب . هل سيفعل هذا حقاً؟ هل لديه الحق في ذلك؟ وهل ستكون المحاكم في صفها؟ هل يمكنها أن تتحمل تكاليف هذه المغامرة؟

شعرت بالدم يهرب من وجهها وعادت تتهالك على كرسيها: «لا أصدق أنك ستفعل بي كل هذا» .  
- بعد كل ما فعلته بي؟ أظنك هربت لمدة طويلة جداً من دون عقاب .

- ماذا لو لم تشأ شارلوت أن تبقى هنا؟ ماذا لو لم تحبك شارلوت بعد أن ترى أي أب سيء أنت؟ لا تنس أنني أعرف كم من الوقت كنت تمكث بعيداً عن البيت . هذا لن يعجبها، ولن تسامحك أبداً .

- عليّ إذن أن أمضي مزيداً من الوقت هنا، أليس كذلك؟  
وأخذ يتفحصها بثبات . إن عينيه رائعتان، لطالما كان هذا رأيها . كان يياضهما ناصعاً، ولدى التحديق فيهما يرى الناظر خطأ أسود يحيط بإنسان العين البني . شعرت، وهو يحديق إليها، أنه يخترق عينيها بنظراته، ليصل إلى عقلها مباشرة .

وكان يرى الشك، والتعاسة، والخوف في عينيها . وانتظر أن تتكلم



فقلت غاضبة: «أنت تعلم أنك لن تفعل هذا. قد تفعل لفترة قصيرة لتعود بعدها إلى طريقتك القديمة، إنها طريقة حياتك. أنت لا تعرف معنى أن تمضي كل أمسية وعطلة أسبوعية مع زوجتك وابنتك. ستكون متحرراً للعودة إلى العمل، لكي ترى أن الأمور تسير على ما يرام في غيابك. أنت لا تعرف كيف تفوض شخصاً آخر. في الواقع، أنت لا تعرف كيف تلاعب شارلوت».

تعنيفها له مس من وتراً حساساً فاحمر وجهه، وازدادت برودة الجو فجأة. رد عليها بجملة: «ربما كنت لأفعل ذلك لو سحنت لي الفرصة. أنت غير منصفة».

قالت بغضب بالغ: قلت إنك ستأخذنا رهيتين... ومع ذلك تعنتني بعدم الإنصاف؟».

قفز لويجي واقفاً: «أنا واثق من أنك ومع انتهاء العيد، مستجدين وقتاً كافياً لتدركي بنفسك ما هو المنطقي. والآن حان وقت الطعام. تعالي، علينا ألا نجعل الطاهية تنتظر».

- لست جائعة.

- ستشعرين بالجوع عندما ترين ما طهته لنا إدوينا. إنها نابغة في المطبخ.

تبعته ميغان مكرهة إلى غرفة الطعام الصغيرة حيث المائدة معدة لشخصين وقد بدت في غاية الجمال بزینتها الخضراء والقوط الحمراء الملفوفة والمطوقة بمحابس ذهبية. تكهنت ميغان بأنه لو كان وحده لما طلب كل هذه الزينة. ربما ما كان ليعود إلى البيت. كان ليتعشى في الخارج أو يلتهم شطيرة في منتصف الليل، فهذه عادته.

أحضر رئيس الخدم الطعام. ودهشت ميغان عندما وجدت نفسها جائعة... جائعة جداً.

قالت له: «هل طاهيتك دوماً بهذا الإبداع؟».

- دوماً. إنها تحبني دوماً على إقامة حفلات عشاء لكي تظهر

مهارتها.

- وهل تفعل ذلك؟

مسحت الحلوى عن شفيتها بفوطتها، وهو تصرف راقبه لويجي بدقة. ذكرتها عيناه على شفيتها بشهر غسلها حيث تشاركها بصحن من الفريز. لكنها طردت هذه الذكرى من ذهنها بسرعة، فمن الخطر أن تسمح لهذه الذكريات بالظهور. كما أن هذه التصرفات المثيرة بينهما توقفت حالما عادا من شهر العسل وتطلب منه العمل كل ساعات بقضته.

كان الطعام كله لذيذاً ما جعل ميغان تتساءل عما سيكون عليه طعام العيد. كانت معلوماتها في الطهي محدودة وبسيطة وتحرص على أن تحصل ابنتها على طعام متوازن. لكنها كانت بعيدة عن مثل هذا النوع من الطهي.

لم يرفع لويجي عينيه عن ميغان طوال تناولهما الطعام. وأخيراً، سأها: «هل تستمتعين بالطعام؟».

- كثيراً. إن إدوينا كثر.

- يمكن أن تستمتعي بطعامها على الدوام إذا أنت...

- وأنتهي بتكديس الدهون على جسمي؟ لا، شكراً أفضل أن أعود إلى طهي البسيط.

- ماذا لو صرفت إدوينا من العمل؟

فقلت بجملة وبرودة: «وماذا لو فهمت معنى كلامي وهو أننا لن نبقى هنا؟».

توترت شفته ولاذ بالصمت، لكنه لم يكن مستعداً أن يدعها تذهب عندما أنها طعامهما فسأها: «أين تضعين ألعاب شارلوت عادة؟».

- أملاً جورباً بالألعاب التي من سانتا كلوز وأضعه بجانب المدفأة، والجارب الأخرى بالألعاب التي مني تحت الشجرة.

- فلنبدأ إذن.

فقلبت جيبيها: «لن يتطلب الأمر سوى دقيقة، والوقت ما زال باكراً. ماذا لو استيقظت وترلت؟».

- إذا ما استيقظت فسنسمع صوت منبه. خطر لي أن هذا احتياط حسن في بيت بمثل هذا الحجم. فنحن لا نريدها أن تشعر بالضيق والتعاسة.

أخذت ميغان تفكر في كلمة (نريدها)، هذه الكلمة التي تجمعهما معاً وكأنهما عادا إلى حياتهما الزوجية! ربما من الأفضل أن يحضرا الألعاب الآن حتى يمكنها أن تنام باكراً فتهرب من صحبته لساعات. إنها غير متلهفة حقاً لقدوم العيد وهذا مؤسف لأن العيد هو أجل أيام السنة وأكثرها إشراقاً.

إلا أن الابتعاد عن لويجي لم يكن بهذه السهولة. فبعد أن وضعا هداياهما، دعاها لشرب الشاي معه قبل النوم. لم يكن مزاجها يسمح لها بذلك لكنه أصر فأدرت أنه لن يتراجع عن دعوته حتى تقبل.

لم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل عما كانت الأمور لتؤول إليه إن لم تهرب منه. هل كان ليصبح كما هو الآن أم أباً شغوفاً يمحك في البيت مزيداً من الوقت؟ لن تعرف ذلك أبداً. والغريب أن شعوراً بالندم تملكها لأنها لم تنتظر حتى تعلم.

سألها: «هل كنت ستخبريني؟».

- عن شارلوت؟

كيف علم بما تفكر فيه؟

- طبعاً.

فأجابت بصدق: «لا أدري. ربما كنت سأخبرك يوماً ما إذا راحت شارلوت تسأل عنك، ولماذا ليس لها أب؟».

- علي إذن أن أشكر الله لأنني كنت موجوداً في الوقت المناسب، وإلا لانتظرت طويلاً طويلاً قبل أن أرى ابنتي.

وغير الموضوع بسرعة: «أصبحت أجل مما كنت عليه. أتعرفين أن

الأمومة تناسبك؟».

فقالت: «هذا الترفل لن ينفك».

رداً بابتناسامة رقيقة: «هذا ليس ترفلاً بل حقيقة».

كانا يجلسان على كرسيين متقاربين، فيما الأنوار خافتة والنار تستعير في المدفأة رغم التدفئة المركزية في المنزل كله. لم يخطر لها قط أن لويجي من النوع الذي يحب الرفاهية القديمة الطراز.

- هل كنت ستتكدب عناء هذا كله لو لم نكن هنا؟ أعني شجرة عيد

الميلاد ونيران المدفأة؟

- أتريدين الصدق؟

- نعم، الصدق.

- لا. ولماذا أفعل هذا؟ هذا العيد أفضل عيد مرّ عليّ، وأرجو أن

يكون كذلك بالنسبة إليك أيضاً.

- أنا هنا لأسعد شارلوت فقط.

فهمس بصوت شعرت أن ذبذباته تتخلل عظامها: «إنك

تسعديني».

أشاحت بوجهها، مركزة انتباهها على شرايها الساخن.

- لم أعرفك قط كرجل يجلس، في الأمسيات، أمام المدفأة.

فقال مداعباً بخبث وعيناه تتألقان كالكهرمان: «كيف كنت تعرفيني

إذن؟».

شعرت بنظراته تبعثان الحرارة في جسمها. أم لعلها نار المدفأة؟

مهما يكن، فقد ارتفعت حرارتها في لحظات، وأجابت: «كنت أراك

رجل أعمال خشناً لا تلمس قدماء الأرض. ما الذي جعلك تشتري

متاجر جيرارد؟ ظننتك تعمل في مجال التلفزيون؟

- ما زلت كذلك. إنما لدي الكثير من المشاريع التي سأخبرك عنها

يوماً ما. لكنني، حالياً، أريد أن نتحدث عنك. لماذا لم تخبريني أنك لم

تكوني سعيدة؟ لماذا هجرتني من دون أي كلمة؟

قالت وهي تدينه بنظراتها: «لأنني أعرف أنك كنت ستمنعني».  
تابعت: «ربما كنت ستقسم أنك ستتغير. لكنني أعلم أنك لن  
تتغير، وأنا على صواب، أليس كذلك؟».

فأجاب بجزن: «لا أحد يعلم ما كان ليحصل. من الصعب أن  
أقبل فكرة خسارتي ثلاث سنوات من عمر ابنتي. هذا أمر لن أغفره  
لك قط... على الإطلاق!».

- لا أريد أن أتحدث في هذا الأمر، فالوقت متأخر. سأذهب إلى  
الفراش.

وروقت، فوقف هو أيضاً، وقبل أن تستطيع منعه أخذها بين  
ذراعيه: «لكنك ما زلت زوجتي وأم ابنتي. وأريد منك قبلة المساء».

قاومته بعنف لكنه رفض أن يدعها تذهب. لم تجد مهرباً، وسرعان  
ما شعرت بنفسها تتجاوب معه. لقد أعاد هذا الموقف ذكرى لقائهما  
الأول، وهي تتذكر ذلك النهار بكل وضوح. ذاك الشاب الأسود  
الشعر اللاتيني الوسامة توقف ليلتقط كيساً سقط منها. حصل ذلك قبل  
أسابيع من عيد الميلاد وكانت ذراعها محمليتين بالمشتريات. عندما  
نظرت إلى عينيه لشكره جذبتها وسامتة إلى حد جعلها تسقط كيساً آخر  
على الأرض.

قال بابتسامة أوهنت ساقها: «أظن أنه من الأفضل أن أساعدك في  
حمل هذه الأغراض إلى السيارة، أو الحافلة أو إلى مكان تريدته. أنت  
تحملي الكثير من الأغراض».

فقالت بخجل: «إنها هدايا الميلاد وأسستل الحافلة».

قال ضاحكاً: «لا أظنك ستتمكنين من ذلك، إلا إذا شئت أن  
تفقدني أكياسك هذه أثناء صعودك أو نزولك منها. سأوصلك بسيارتي  
إلى بيتك. إنها هناك خلف المنعطف».

- لكنني لا أعرفك، وأنا...

- أوكد لك أنك آمنة. اسمي لويجي كوستانجو، وأعيش في «مبكلل

أوفر» بجانب «دري».

وأخرج بطاقة عمله ثم وضعها في أحد أكياسها فأدركت بالغريزة أن  
بإمكانها أن تثق به. ارتسمت على ملامحه الصراحة والصدق، وكان  
بينها في طريقه إلى بيته تقريباً فرأت أن من الغباء أن ترفض.

لكنها بقيت مترددة، فقال: «أفهم شعورك لأنني شخص غريب  
تماماً. الدعوة قاتمة إذا شئت. ومع ذلك سأرافقك إلى موقف الحافلات  
إذا كان هذا ما تفضليه».

كانت ميغان في الثامنة عشرة من عمرها هو أكبر من الفتية الذين  
تخرج معهم بكثير. شعرت بانجذاب نحو، ووجدت نفسها تقبل بأن  
يوصلها.

كانت سيارته السوداء أنيقة فارغة. مهما كان نوع عمله، فهو ناجح  
فيه. رافقها حتى باب بيتها وساعدها على حمل أكياسها. جحظت أعين  
والديها وهما يريانها مع رجل غريب وسيم، لكن الانطباع الذي أحدثه  
في نفسيهما كان جيداً.

وقبل أن يغادر، سألها إن كان بإمكانه أن يراها مرة أخرى فلم  
تستطع أن ترفض إذ كان قلبها قد تعلق به... وأيقظ عناقه مشاعرهما  
السابقة كلها. فاستاءت لذلك، وازدادت مقاومتها لتتحرر منه حتى  
تركها أخيراً وعلى شفثيه ابتسامة ملتوية: «ثمة ما يجبرني بعودة مشاعر  
قديمة إلى الحياة. أنت لست منيعة كما أردتني أن أظن».

فردت عليه بجدة وعيناها الجميلتان تحمقان فيه ببرودة: «أفكار مبنية  
على التمني».

- حسناً... سنرى.

شعرت بتقلص في معدتها ولم تعجبها طريقة كلامه. سيحاول مرة  
أخرى وهذا آخر ما تريده. تبا لها! كيف تجاوبت معه بعد مرور كل هذا  
الزمن؟ إنها لا تريد أن تتورط معه مرة أخرى... أبدأ! إنها تريد ما  
فيه خير شارلوت، فالأب المدمن على العمل لا يصلح للأبناء. ابنتها

بمحااجة إلى والدين بدوام كامل.

قالت بلهجة عاصفة وهي تخرج: «تصبح على خير».

شعرت بعينيه تتبعانها لكنه لم ينادها لتعود، فركضت صاعدة السلم بسرعة. شعرت أن وصولها إلى غرفتها استغرق دهرأ. هناك أغلقت الباب خلفها بهدوء، ووقفت لحظة تفكر في رد فعلها على عناقه. صدمها رد فعلها للغاية. ظنت أنها نسيت، لكن مشاعرها نحوه تحركت بعد تلك السنوات كلها، وهذا ما أخافها.

حاولت أن تقنع نفسها بأن شعورها هذا رغبة... رفضت أن تستعمل كلمة حب، ذاك الحب الذي سبق وهرب من النافذة منذ زمن طويل... إنها رغبة صرفة. على أي حال، لم تعرف رجلاً آخر منذ تركت لويجي... ومن الطبيعي أن تتحرك مشاعرها إذا ما عانقها أي رجل. إنها امرأة فتيّة مليئة بالعواطف.

وببطء، انجهدت إلى غرفة ابنتها لتطمئن عليها فوجدتها نائمة وعلى فيها شبح ابتسامة وكأنها تحلم حلماً جميلاً. لعلها تحلم بعيد الميلاد أو بأبيها. وعبست ميغان لهذه الفكرة الأخيرة راجية ألا يكون الأمر صحيحاً.

لم تشأ أن تكون علاقة شارلوت بأبيها جيدة لأنها لا تنوي البقاء هنا، رغم تهديد لويجي. تهديد؟ هل هذا ما فعله؟ هدهدها؟ لا... لويجي رجل طيب، وقد عرفت ذلك منذ يوم تعارفهما الأول. كان مهذباً يحترم والديها وقد أحياه على الفور. وسرعان ما ربط بينهما الحب الذي انتهى بهما إلى الزواج بعد ستة أشهر. في الواقع، كان والداها هما من دفعاها إلى هذا الزواج، قائلين إنها لن تجد زوجاً مثله.

كانت تثير حسد صديقاتها كلهن، لكن ما من شيء أعدها لواقع أنه يقدم العمل على أي شيء آخر. في البداية كانت فخورة بنجاحه في أعماله. قبل أن يتعرف إليها كان قد وضع برنامج كمبيوتر اكتسح العالم كله كالعاصفة، ثم ازداد انغماساً في العمل وفي مشاريع أخرى. أحياناً

كانت تظنه يفكر في أعماله أكثر مما يفكر فيها هي، وأحياناً أخرى كان يعود إلى البيت ليغمرها بعاطفة لا يمكن تصورها. كان حلم كل امرأة إذ اعتاد أن يعوّضها مئة ضعف عن الأيام التي أمضيها مفترقين.

أو هذا ما ظنته في البداية. لكن مضت أشهر وسنوات من دون أن يريها أي حنان حقيقي، فبدأت تظن إن علاقتها الجسدية ليست سوى إشباع للغريزة أو محاولة لإراحة ضميره لأنه يخونها مع سيرينا. المرة الوحيدة التي أعلن لها فيها حبه هي عندما طلب منها أن تتزوجه. لكن، وحتى حينذاك لم يبد عليه الارتياح. وأخذ استياؤها يزداد مع مرور الأيام. لكن عندما كانت تتذمر من عدم تواجده في البيت اعتاد أن يجيب بأنه يفعل ذلك من أجلها ما جعلها تشعر بأنها أنانية. وعندما عرفت أنها حامل أدركت أنها لا يمكن أن تنشئ طفلها في منزل لا حنان ولا ثقة فيه.

انجنت وأزاحت شعر ابنتها الأشقر الناعم عن وجهها وقبّلتها فتحرّكت شارلوت لكنها لم تستيقظ. همست: «تصبحين على خير يا حلوتي، وأحلاماً سعيدة على الدوام».

وهذا لن يحصل إلا إذا بقيتا بعيدتين عن لويجي. أرادت أن تترعرع ابنتها في أسرة، ولطالما عبّرت لها عن حبها لها. لكن لويجي لن يفعل هذا أبداً.

صحيح أن شارلوت متحمسة الآن، لكن هذا لن يدوم. فسرعان ما ستكتشف أن أباه ليس الأب الذي توقعت وأرادته. لم تتصور ميغان لويجي وهو يرفع ابنته ويقول لها كم يحبها. فهذا، بكل بساطة، ليس من طباعه.

لعلها ليست عادلة معه لأنه لم يعرف الحب في طفولته. لكنها منحتة الحب فلماذا لم يرده لها؟ إظهار المشاعر ليس صعباً أو على الأقل هي لا تراه كذلك، بعكس لويجي كما يبدو. لقد أخفى عواطفه وراء باب ضخم لم يعد يعرف كيف يفتحه، حتى أنه لم يحاول ذلك. وملكها شعور

مفاجيء بأنه قد يحاول أن يجد نفسه في عواطف شارلوت.

ثبتت صحة مخاوفها عندما هبطنا إلى الطابق السفلي صباح العيد ورأت كومة ضخمة من الهدايا تكاد تغطي الشجرة. رأت علماً من كافة الأحجام والأشكال التي يمكن تصورها فثار غضبها على لويجي، وكان يقف بانتظارهما وقد بدا راضياً عن نفسه إلى أقصى حد.

كان من الطبيعي ألا تنتظر شارلوت إلى الجورب الذي ملأته أمها بكل عناية، بل ركضت مباشرة إلى الشجرة وقد اتسعت عينها عجباً وحماسة: «هل هذه كلها لي يا بابا؟ هل أحضر لي سانتا كلوز كل هذا؟»

فقالت ميغان وهي تمسكها بيدها: «هدايا سانتا كلوز هناك يا حبيبي. لم يستطع أن يحمل كل هذه في عربته».

- من أين جاءت هذه الهدايا إذن؟

فقال لويجي بابتسامة عريضة: «إنها مني أنا. بعضها لك وبعضها لأمك».

قطبت ميغان جبينها باستياء. ماذا يحاول أن يثبت لها؟ وتابع لويجي يقول: «أظن أن أمك تريدك أن تفتحي هدايا سانتا كلوز أولاً».

ركعت ميغان على ركبتيها وأخذت تنظر إلى ابنتها وهي تفتح الهدايا بيدين ترنحان تهتف مرة بعد مرة: «أنظري يا أمي، أنظري».

سألها أبوها وهو يقترب ويقف بقربها، من دون أن يركع مثل ميغان: «ماذا وجدت؟»

- لعبة جديدة يا بابا، ثم ثياباً لها، و...

لكن ميغان أحسّت بأنه غير مهتم بل يريد أن تفتح شارلوت هداياها. أراد أن يرى فرحتها ويتلقى شكرها... أراد أن يشعر بمتعة ذلك.

لم يمض وقت طويل قبل أن تهرع شارلوت إلى الشجرة. وهذه المرة وقف لويجي بجانبها، مستمتعاً بالبهجة المرسمة على وجهها وهي تفتح

هداياها، ولا تفتأ تردد مرة بعد مرة وهي تحتضنه وقد نسيت خجلها: «شكراً يا بابا».

رأت الضيق يبدو عليه وهو يتلقى هذه العواطف كلها، فتساءلت عمّا إذا كانت هي شحيحة. إنه عيد الميلاد، وهو وقت العطاء والتسامح، وما كان لها أن تنتقده.

لكنها انزعجت لكثرة الهدايا التي أحضرها لابنته... فهي طفلة متكيفة جداً مع محيطها وتعلم أن ثمة أشياء لا يمكن لها الحصول عليها فكيف يمرؤ على أن يضعف قناعتها؟

وجاء دورها. كان هناك كومة من الهدايا لها، وعندما فتحتها محاولة جهدها أن تظهر السرور بينما كانت تشعر برغبة في إلقائها بوجهه، لم تستطع أن تصدق كم أنفق من أجلها. بدا وكأنه اشترى لها كل ما

يحتويه قسم النساء في متجر جيرارد: مجوهرات، ملابس داخلية، حقائب يد، أثواب للمساء، ملابس للنهار، قمصان نوم... وكلها ذات قياس صحيح.

قالت بهلجة حادة لاذعة أكثر مما يجب: «لم أشتري لك شيئاً».

فقال بمودة: «لا بأس. يكفيني أنك هنا الآن».

وألقي عليها نظرة ذات معنى من فوق رأس شارلوت. لكن ميغان لم تتأثر. وحالما تمكنت من تبادل الحديث معه على انفراد، قالت غاضبة:

«ليس لك الحق في شراء كل هذه الهدايا لشارلوت، ولي. هل لديك فكرة عما تفعله بطفلة حساسة سريعة التأثر؟ ستوقع هذا في كل عيد».

بسط راحتيه قائلاً وعلى وجهه ابتسامة عريضة: «وما العيب في ذلك؟»

- هذا ليس حسناً.

- عليّ أن أعوض الكثير.

- كلام فارغ، هدية واحدة تكفي لجعلها سعيدة.

- ولكن بإمكانني شراء ذلك.



- هذا لا يهمني. هذا الأمر خطأ، يا لويجي. خطأ بالغ! واعلم أننا عندما نغادر هذا البيت لن تأخذ كل شيء. لقد تجاوزت الحد وأنا أشد غضباً مما تتصور.

- والغضب زادك جمالاً. أتعلمين أنني لم أرك غاضبة طوال فترة عيشنا معاً؟ لم أر عينيك قط تلتهبان بهذا الشكل المثير أو بشرتك تتوهج بهذا الشكل الجميل ما يجعلني أرغب في حملك إلى السرير.

قال الجملة الأخيرة بلهجة منخفضة متأمرة، فردت بجمدة: «وهذا ما لن يحدث أبداً».

- ألا تريدن أختاً أو أخاً لشارلوت؟

- ليس منك أنت.

فأظلم وجهه: «وليس من ذلك الحقير الذي تعيشين معه. قلت له أن يرفع يده عنك فأنت لي أنا».

ردت عليه بجمدة: «لا أدري كيف تطالب بذلك وأنت لم تبحث عني. هذا يثبت أن أمري لا يهكم. لقد تأكدت الآن أن الوقت حان لكي نبدأ إجراءات الطلاق».



#### ٤ - لن تتركيني!

أجابها بصوت أجش: «لن تحصل على الطلاق في حياتك».

من المستحيل أن يمنحها الطلاق! حملت فيه بعينيها الرائعتين: «لست سوى وحش مادي أناني لا يعرف الحب... وأريد الخلاص».

- حسناً، أعيدي التفكير يا زوجتي الحلوة. مكانك هنا معي.

فقالت باستخفاف: «لم يكن مكانك معي أثناء السنوات الثلاث التي أمضيتها معك؟».

رباه، لماذا لا تستطيع ميغان أن تفهم أنه فعل هذا من أجل مصلحتها... وهو يريد أن يعود... الآن. إنه يريد شارلوت لأنها ابنته، لكنه يريد أيضاً زوجته بجانبه كل ليلة.

ما من امرأة أخرى تمكنت من أن تثبته كما تفعل ميغان. منذ اليوم الذي عرفها فيه، تملكته الرغبة فيها. في الواقع، كان الواحد منهما لا يبخل على الآخر بالعاطفة. وقد دمّره هجرها له.

لم يخطر في باله لحظة أنها هجرته بسبب تأخره في العمل، فقد وقر لها كل ما أرادته من دون مقابل. فهل هذا هو السبب؟ أم أنه عذر فقط؟

أتراها أحببت شخصاً آخر؟ ذلك الرجل الذي تعيش معه الآن، مثلاً؟ أمر واحد في تلك العلاقة سرّه وهو أن شارلوت لم تدعه (بابا)، وإلا لما تمكنت أن يكون لها بابا في عيد الميلاد.

وما رأي صديقها في قضائها عطلة عيد الميلاد هنا؟ هل هو غاضب أم متفهم؟ لا بد أنه السبب في إصرار ميغان على اختصار زيارتها قدر الإمكان. ربما عليه أن يتحدث إليه وأن يخبره بأنه يضيّع وقته وأن

ميغان زوجته وسيستعيدها.

أجابها: «الأمور مختلفة الآن، فانا لم أعد بحاجة إلى العمل لساعات طويلة لأن لدي مستخدمين. صدقيني يا ميغان».

فسألته ناثرة: «العلك تقول هذا فقط لتجعلني أغير رأيي!».

ما أجملها صباح هذا العيد في ثوبها الأحمر هذا المحكم على خصرها ليتسع عند وركيها. إن ساقبها رائعتان. وتقدم إليها وقلبه يخفق بعنف لكن النظرة التي بدت في عينيها منعتة من التقدم أكثر، وقال: «ما كان لنا أن نتبادل هذا الحديث. أريد أن يمضي هذا اليوم عليكما، أنت وشارلوت، كأسد ما يمكن».

فقالت بصوت كالفحيح: «هنالك بعض الأمل في هذا».

لكنه تجاهل قولها واستدار نحو ابنته التي كانت تنتقل بسرعة من هدية إلى أخرى، لا تدري أين تلهو أولاً ما ملأ قلبه بهجة وزهوياً. سيقا تل ميغان من أجلها بأسنانه وأظافره إذا اقتضى الأمر. وفجأة، نظرت ميغان من النافذة ثم هتفت: «شارلوت، أنظري. الثلج ينهمر».

تقدموا لينظروا إلى الثلج يستقر على أرض الفناء ليدوب في اللحظة نفسها وقالت شارلوت بحماسة: «هل يمكننا الخروج إلى الفناء؟».

فأجابتها ميغان بسرعة: «طبعاً يا حبيبتى».

لكن لويجي خرج معهما وأخذ يحاول التقاط النتف المتساقطة مع شارلوت. كان بطيئاً قليلاً في البداية لكنه ما لبث أن استرخى فأخذ يركض في أنحاء الفناء وهي تطارده.

سرعان ما توقف الثلج عن التساقط وذاب، فعادوا إلى البيت بعد أن تأخروا عن موعد الفطور. وعندما أحضرت الطاهية الطعام قالت متذمرة: «لا بد أن الطعام تلف الآن».

فقال لويجي: «الذئب ليس ذئبك يا إدوينا.. لم نشأ أن يفوتنا الثلج، أليس كذلك يا شارلوت؟».

هزّت شارلوت رأسها وقد عاودها الحجل وأخذت تحديق إلى هذه

المرأة الممتلئة التي وقفت ويدها على خاصرتيها لترى إن كان طعامهم ما زال صالحاً للأكل.

تناولت ميغان لقمة ثم ابتسمت: «إنه رائع. شكراً لك. وآسفة لأننا جعلناك تنتظرين».

فابتسمت المرأة فجأة: «لا بأس، يا سيدتي. إنه العيد على أي حال».

مرّ اليوم كله ما بين الحديث والأكل واللعب فخطر لميغان أن العيش مع لويجي قد لا يكون سيئاً للغاية. كان يبذل جهده من دون شك. إنما هل سيدوم هذا؟ هنا تكمن المشكلة.

في المساء، وبعد أن نامت شارلوت وأصبح لويجي وميغان وحدهما، سألته وقد تكوّرت في مقعد كبير: «هل أتعبت شارلوت؟ هل وجدت من السهل مجاراتها؟».

فرد عليها بجدّة: «إذا كنت تسأليني عمّا إذا غيرت رأيي فالجواب هو (لا). لا، بل ازداد تصميمي. هذا مكان مثالي للأطفال. إنها فرصة العمر ومن المؤكد أنك ترين ذلك».

عندئذ، ردّت عليه بجملة: «إنها تستمتع في كل مكان... في القصر كما في الكوخ. لا فرق لديها بينهما. أما ما هو حسن بالنسبة إلى شارلوت فهو تدليلها. لقد اشترت لها من الألعاب أكثر مما ينبغي. أما بالنسبة إلى الكمبيوتر، فكم تظنها تبلغ من العمر، بالله عليك؟».

هزّ كتفيه: «لقد استشرت، في الواقع، رئيس قسم الألعاب وطلبت منه أن يلفت ما يراه مناسباً لطفلة في الرابعة تقريباً».

- ألم تحتر حتى واحدة بنفسك؟ كم هذا مخيف! هل أصدرت التعليمات نفسها بالنسبة إلى هداياي؟ تبال لك يا لويجي! يمكنك أن تعيدها كلها إلى المتجر بعد العيد فانا لا أريدها ولا أحتاجها.

توتر فكه ما دلّها على أنها تجاوزت الحد لكنها لم تهتم. قال لها بجدّة: «لا تكوني سخيفة. أنت تبالغين في تصرفاتك. أتى لي أن أعرف ما نجبه

- كان يمكنك أن تسأل أم أن هذا مزعج للغاية؟ من الأسهل أن تدفع أجراً لشخص يقوم بأعمالك الصغيرة. لا أريد أن أسمع المزيد عن هذا. سأذهب إلى غرفتي. كان عليّ أن أعلم أن عيد الميلاد سيستحيل إلى كارثة.

لكنها لم تكذب تصل إلى الباب حتى أصبح لويجي أمامها يصدها. وعندما حاولت أن تدفعه بعيداً أخذها بين ذراعيه وهو يقول: «لا أريد أن أمضي الليل وحدي. لن تركبني».

وقبل أن تبدأ بالمقاومة، وقبل أن تدرك نيته، عانقها.

وكان هذا كفيلاً بتدمير ميغان إذ اكتسحت كيائها موجة من الإثارة. ورغم أنها أدركت أن عليها أن تدفعه بعيداً، إلا أنها لم تفعل. في الحقيقة كانت مستمتعة بالمشاعر التي أثارها فيها. لطالما كان عاشقاً غير عادي، وسرعان ما أدركت ما كانت تفتقده. يا إلهي! إذا استمرت هذه المشاعر فسببتهي بها الأمر إلى أن تستسلم له ولغريزتها.

أي هدية عيد ستكون تلك؟

لم تحاول أن تكبت مشاعرها هذه بعد أن تملكها الحماسة. لم تكن من قوة الإرادة بحيث تقاومه. أخذت تدعو نفسها لأن تقاومه، لكن كيف يمكنها ذلك؟ كان جسدها جائعاً وهي لم تدرك ذلك حتى هذه اللحظة.

حدثت نفسها بأنه عناق واحد فقط تعود بعده إلى غرفتها، لكن الكلام أسهل من الأفعال. فقد طال العناق وسلبها قدرتها على المقاومة. قال لها بصوت أجش مشحون بالمشاعر: «ما زلت أكثر النساء إثارة في العالم كله. لا بد أنني كنت مجنوناً إذ تركتك ترحلين».

لكنه ليس بنصف جنونها الآن بعد أن كشفت أنها لا تريد لهذه اللحظة أن تنتهي.

جذبها إليه بقوة، وعندما لم تقاومه حملها ووضعها على الأريكة.

نظرت إليه وقد تقطعت أنفاسها.

هل عليها أن تضع حداً لذلك؟ هل ستندم على هذا في ما بعد أم أن هذه المناسبة تشكل نهاية حسنة لزواجهما التعتيس؟ ربما بإمكانها أن تعتبر هذا نوعاً من الانتقام فتجعل لويجي يرى بالضبط ما خسره. وابتسمت لهذه الفكرة.

- ما الذي يضحكك؟

وكان جالساً على حافة الأريكة يمرر إصبعه على شفيتها.

- مجرد أفكار خاصة لا يمكنك أن تفهمها.

أو ترضى بها... أخذ نفساً سريعاً وهو يتمتم: «كم افتقدتك».

أغمضت عينيها وقد تشوش ذهنها فجأة. إنها لعبة خطيرة. عليها أن تخرج الآن وهي لا تزال تملك بعض القوة... لكن الأوان فات، وشعرت بالضيق. لمستته كانت تبعث في جسدها أروع المشاعر التي تجعلها ترتجف.

لطالما كان لويجي عاشقاً ذكياً، وهي لا تنكر ذلك. ما من شيء تغير فيه، ورغم لفته الشديدة كان تواقاً إلى إرضائها.

وبعد حين، التفت إليها باسمها: «أشبه بأوقاتنا الماضية، أليس كذلك؟».

أومات، وكيف يمكنها الإنكار؟ لكن هذا لن يتكرر مرة أخرى. لقد استسلمت لمشاعرها ولم تستمع إلى صوت العقل، وهذه غلطة هائلة. لكن هذا لا يعني أنها نادمة. كيف يمكنها أن تندم على مثل هذه المشاعر الملتهبة؟ لقد افتقدت هذا الجزء من علاقتها من دون أن تدرك ذلك. كان جسدها قد تحسب تقريباً ولكن ها هوذا يعود إلى الحياة من جديد.

- هل ما زلت تريد أن تصعدي إلى غرفتك؟

همست وحلقها يؤلمها لما تملكها من أحاسيس: «لا».

عندما استلقت ميغان في سريرها أخيراً، شعرت وكأنها تطير في الجوّ

بقوى لا يمكنها التحكم فيها. لم تعد تفكر في الهرب إلى بيتها ...  
فمكانها هنا ... مع لويجي.

كان لويجي إلى جانبها في السرير. أرادها أن تنام في غرفته، لكنها  
رفضت وهي تقول بذعر: «ماذا لو استيقظت شارلوت ولم تجدني؟».

- إذن سأشاركك سريرك.

ولم تستطع الرفض. كان متكئاً على مرفقه ينظر إليها بعينين قائمتين  
من فيض البهجة. لم يكن لدى ميغان فكرة عن مصدر كل ما يحصل.

تمتم: «لدينا كثير من الوقت للتعويض عما فاتنا».

فابتسمت بركة: «وأنت تريد كل هذا مرة واحدة؟».

- أريد أن أحاول.

- كيف نظننا ستصرف غداً مع طفلة نشيطة إذا لم تنم الليلة؟

فضرب جبينه براحته: «أوووه ... لقد نسيت. تصورت أن

بإمكاننا قضاء اليوم التالي للعيد في الفراش. إدويننا تحضر لنا الطعام إلى  
هنا، فيما نحاول جهدنا كي نعوض السنوات التي فاتتنا».

نظرت إليه بغيث: «أتظن أن بإمكانك ذلك؟».

لم تحلم قط بأن تأخذ العطلة هذا الشكل. والأغرب، أنها لم تمنع

بل كانت مستمتعة بها. لقد طردت من ذهنها فكرة أن لويجي سرعان ما

يعود إلى عمله وينتهي شهر عسلهما هذا، واكتفت بأن تستمتع بكل

دقيقة. كانت احتمالات الحمل ضئيلة في هذا الوقت من الشهر، ولم

يقلقها هذا الأمر.

\*\*\*

لم يستطع لويجي أن يصدق حسن حظها فهو لم يضطر حتى إلى

إقناعها. لقد استسلمت بين ذراعيه بشكل طبيعي وكأنهما لم يفترا قط.

لقد غمرته البهجة ولم يعد لديه شك في أنها ستتقل إلى بيته ليولفا أسرة

حقيقية.

ستتغير حياته، فهو أب الآن! إنه يريد أن يصرخ بذلك من فوق

السطوح. وما أجملها من طفلة! لقد ربّتها ميغان تربية ممتازة، وها هو  
الآن هنا ليساعدها في تربيتها. تأخره ساعات طويلة في العمل سيصبح  
جزءاً من الماضي، فشارلوت تحتاجه، وهو يحتاج ميغان! ومد يديه إليها  
مرة أخرى لكنها كانت قد نامت، فابتسم ونام هو الآخر وذراعه  
حولها.

أيقظهما صوت شارلوت العالي المتحمس: «استيقظي يا ماما، الثلج  
ينهمر مرة أخرى. الثلج يتساقط يا بابا. تعال وانظر».

هباً من الفراش يلبيان نداء طفلتهما. وأخذ الجميع يضحك لرؤية

الثلج، وسره أن شارلوت لم تستغرب رؤيتهما معاً، ما يعني أنها تقبلته

أباً لها من دون تحفظ. وبما أن ميغان استقبلته بذراعين مفتوحتين

أيضاً، بدا له المستقبل رائعاً.

تساقط الثلج بكثرة هذه المرة، وابتدأ يتكّوم على الأرض. وخطر

لميغان أن تساقط الثلج فال حسن. في الواقع، كانت مسرورة لأنها

سمحت للويجي بأن يقنعها بالهجوم إلى هنا.

وعند العصر، أخذوا يتقاذفون بالثلج ثم صنعوا (رجل ثلج).

ساورها شك في أنه اكتسب مزيداً من الخبرة مع فتيات أخريات

لكنها طردت هذه الأفكار من ذهنها. إذا ما فعل هذا فالحظاً خطأها.

كانت عيناها تنألقان كلما نظرت إليه فيبتسم لها ابتسامات حميمة

بطيئة تنبئها بأنه يعلم بالضبط ما تفكر فيه. لم تعد تستطيع الانتظار،

ويدا الوضع أشبه بأيام زواجهما الأولى حين لم يكونا يشبعان من

بعضهما البعض.

كل هذا كان قبل أن يصبح من ملوك المال ويعتبر أن العمل أكثر

أهمية. وسرعان ما طردت هذه الأفكار من ذهنها فقد أصبح لويجي أباً

الآن، ولديه مسؤوليات مختلفة، وهو لن يخذل شارلوت.

كان كل منهما متلهفاً لحلّول موعد نوم شارلوت. وتبع لويجي ميغان

وأخذ ينظر إليها وهي تغسل ابتها. يا لها من أم بالغة الحنان، حنان

لمس مشاعره. لكن يديه انقبضتا عندما تذكر كيف غدرت به ولم تسمح له بأن يحضر ولادة ابنته، وبأن يشاركها سنوات حياتها الأولى. لكنه لن يدع هذه الذكريات تفسد بهجة هذا المساء.

كان يتطلع طوال النهار إلى تمضية الأمسية مع ميغان. لقد تجاوزت معه، الليلة الماضية، بشكل حسن للغاية. ومن نظرتها إليه بعينيهما الرائعتين الناضحتين بالمشاعر المحمومة، أدرك أن عواطفها نحوه لم تمت. وما إن وضع ذراعه حولها، حتى ذابت السنوات التي فرقت بينهما في ضباب الزمن. لقد أصبحت له مرة أخرى.

عانقته بلهفة لا يمكن أن تشعر بها سوى امرأة عاشقة. فتمتم بصوت أجش: «ما أروعك! يا إلهي... كم أنا مسرور لعثوري عليك مرة أخرى».

لم تجب ميغان. كانت مغمضة العينين وعلى وجهها شبح ابتسامة هائثة. لم يرها قط بهذا الجمال من قبل إذ بدت ملامحها بالغة الرقة ووجهها مشرقاً بوهج رائع. بدت كامرأة راضية للغاية. إنه واثق الآن من أنها لن تهجره مرة أخرى.

وبعد حين، استسلما للنوم متعانقين. ولأول مرة في حياته لم يرغب لويجي في النهوض من فراشه عند الفجر والذهاب إلى مكتبه. فبجانبه امرأة كاد يفقدها، وهو لا يريد أن يغامر بالتعرض لذلك مرة أخرى. في نهاية الأمر، سيذهب إلى عمله وسيعمل لساعات، لكن ميغان هي الأهم حالياً.

إلا أن الأمور لم تسر كما توقّع.

في منتصف الصباح، وفيما كانا، هو وشارلوت، يتراشقان بالثلج مرة أخرى، جاءت ميغان بعد أن دخلت إلى البيت لتحضر منديلاً لابنتها، ودست الهاتف في يده: «مخابرة لك».

فقطّب جبينه: «ممن؟».

قالت له بجدّة: «ستعلم بنفسك».

ثم أمسكت بيد ابنتها تسحبها بسخط إلى المنزل وهي تقول لها: «تعالي، سنحزم أمتعتنا لأننا راحلتان».

سمع كلامها، ف شعر أنه ممزق بين رغبته في أن يلحق بها ليعرف ما جرى، وبين أن يعلم هوية المتصل... الذي كذّر زوجته بهذا الشكل.

- هل يمكنك أن أتكلّم مع لويجي من فضلك.

صوت هذه المرأة الأجش ما زال يتردد في أذني ميغان.

- من المتكلّم من فضلك؟

- أخبريه أنني سيرينا. وأسرعني من فضلك.

سيرينا! إذن ما زالت معه؟ هذه الفكرة جعلتها تشعر بالغثيان، فرددت عليها بجدّة: «كيف تجرّوين على التكلّم معي بهذا الشكل؟ أنا لست خادمة عندك».

- لا يهمني من أنت. أريد لويجي.

فقالت ميغان بغضب: «تريدينه؟ حظك سيء» إذن لأنه غير موجود».

- أظن أن لويجي سيكون موجوداً إذا أخبرته من أكون.

- أتظنين أنه سيفضلك على زوجته؟

شعرت ميغان بالعذاب لأن لويجي تودد إليها وأعادها إلى حياته كزوجة بينما ما زالت علاقته بسيرينا قائمة. لكنها لن تدع سيرينا تعلم ذلك. قالت المرأة ساخرة: «لقد افترقا، هو وزوجته منذ وقت طويل، وهو أحق لأنه لم يطلقها. كيف استطاعت أن تتركه، لا أدري. إنه...».

فقاطعتها ميغان بخشونة: «لقد عادت إليه، في الواقع، وأنت تتحدثين إليها الآن».

وساد صمت طويل، قالت ميغان بعده بعذوبة مقرّزة: «سأسلمه التليفون لتحديثه إذ كان هذا ما تريدونه. لحظة واحدة».

ولم تنتظر لتسمع كلام الفتاة الأخرى، فقد شعرت بغثيان وهي تخرج لتسلّم لويجي الهاتف. قالت عيناه كل شيء، فقد بدا ممزقاً بين

أميرين ما أنبأها بما تريد أن تعرفه. إذا كان يجيبها حقاً . . . إذا كان يريد حقاً أن يعودا إلى بعضهما البعض، لتجاهل مخابرة سيرينا ولحق بها. لكن، وبدلاً من ذلك، سمعته يتحدث في الهاتف برقة، مبتعداً إلى حيث لا يمكنها أن تسمعه.

## ٥ - الضياع

- أما زالت سيرينا تعمل عندك؟

لم تشأ ميغان حقاً أن تعلم، ومع ذلك لم تستطع أن تمنع نفسها من السؤال. وتمنت لو بإمكانها أن تسحب سؤالها لأنه جعلها تبدو غيوراً . . . ولماذا تغار؟ ما دام لويجي لم يعد جزءاً من حياتها، فلم يعد يهمها كم امرأة يعرف.

كاذبة! ما كان ذلك ليهما قبل أن تعود إليه، لكنه يهمها الآن. لقد عاملها وكأنها الوحيدة في حياته. لا . . . هذا ليس صحيحاً تماماً. لقد جعلها تشعر وكأنها الوحيدة في حياته. وهذا فرق كبير! لعله يمثل كيف يمكنها أن تعلم كيف أصبح في هذه الأيام؟ إن هدفه الرئيسي حالياً هو الحصول على ابنته. وإذا كانت أمها معها، فهذا حسن إذ ستلعب دور جليسة أطفال حاضرة دوماً بينما يحافظ هو على ساعات عمله الطويلة، ويتابع علاقته.

بعد أن انتهت من كل هذه التحليلات، وأتمت حزم أمتعتها، كان الغضب البالغ قد تملكها. لقد رأت من نافذة غرفة نومها يتحدث في الهاتف. لاحظت طريقة وقوفه، طريقة إمالة لرأسه وهو يصغي، طريقة تحريكه يديه . . . وكأنه يلامس سيرينا في خياله. بدا وكأنه يتحدث إلى امرأة تعني له الكثير، حتى أنه خيّل لها أنه أرسل لها قبلة، عندما انتهى.

أجابها ببساطة: «نعم، ما زالت تعمل عندي. لكن لا داعي لأن تقلقي رأسك الجميل بها».



فردت بحدة بالغة: «وكيف لا أقلق؟ لقد أظهرت لي بوضوح أن لها الأفضلية في حياتك».

- في حياتي العملية فقط. سيرينا مساعدتي الخاصة وأنت تعلمين ذلك.

فنظرت إليه غير مصدقة: «أحقاً؟ هل هذا كل ما تعنيه لك؟ هذا ليس ما شعرت به. وإذا كنت تعتقد أنني سأعود إلى حياتك فيما هي جزء منها، فعاود التفكير في الأمر. كل ما أستطيع قوله هو أنني أحمده الله على اتصال سيرينا بك، لأنني أصبحت الآن أعرف وضعي بالضبط».

- لا تكوني سخيفة، يا ميغان. سيرينا لا تعني لي شيئاً. أنت وشارلوت كل حياتي.

فقالت بلهجة الإتهام: «لا أدري إذا كنت ستقول هذا لو لم أهجرك. لا أدري ما إذا كانت الأبوة ستجعلك تغير أسلوب حياتك. لسبب ما، لا أظن ذلك. أنت تشعر بأنك خدعت. نعم، ولأن شارلوت ابتكت الشرعية فأنت تريدها، لكن هذا بعيد عن منالك».

فسألها وهو يرتجف غضباً: «أتريدين أن تقولي إن الليلتين الماضيتين لم تعنيا لك شيئاً؟».

- كل ما فعلته هو أنهما ذكرتا في بخرتك البالغة.

قال وقد احمرت عيناه: «لا أصدقك».

- صدق ما تشاء، لكنني خارجة من حياتك إلى الأبد. وهنئياً لك بسيرينا.

قال وعيناه صلبتان باردتان كالثلج: «هل ستدعنين سعادة ابنتك وحياتها، بحرمانها من الأب الذي وجدته لتوها؟ إن حاجتها إليه بقدر حاجتها إلى أمها».

لم تكن ميغان قد نظرت إلى الأمر من هذه الناحية. هل سيكون هذا شيئاً بالنسبة إلى شارلوت؟ أم من الأفضل أن ترحل الآن قبل أن تعتاد

على أبيها؟ وعرفت الجواب حتى قبل أن تفكر في الأمر طويلاً، فشارلوت بحاجة إلى أبيها. نعم، كانت سعيدة للغاية حين اكتشفت أن لديها أباً، ومن القسوة أن تحرمها منه الآن، لكنها لا تريد لشارلوت أباً بدوام جزئي، أو أباً يخون أمها مع امرأة أخرى!

قالت كارهة: «سأبقى ولكن بشرطين».

- وما هما؟

وتساءلت إن كان ثمة من يصدق أنهما كانا منذ ساعات قليلة فقط نائمين بين ذراعتي بعضهما البعض. أين تلاشت تلك البهجة؟ فها هما يواجهان بعضهما البعض كعدوين لدودين. رفعت رأسها: «أولاً، أن تقلل ساعات عملك. وثانياً، ألا تكون في حياتك امرأة أخرى».

فقال بسرعة وبساطة: «موافق».

لكن جوابه جاء أسرع مما انتظرت فتملكها القلق: «أنا جادة».

- أيضاً أنا. أنت وشارلوت تعنيان كل شيء بالنسبة لي.

- وسيرينا؟

هز رأسه بخفة وكأنه يسألها عما يجعلها تسأله عن سيرينا. وأجاب بهدوء: «إنها يدي اليمنى ولا يمكنني أن أبتريها من حياتي. إنها تديرها في الواقع... أعني...».

- وهل سبب اتصالها بك الآن هو العمل؟

- طبعاً، ما يذكركي...

ونظر إلى ساعته: «إنهم بحاجة إليّ. عليّ أن أذهب، وعندما أعود سندهب إلى بيتك ونحضر بقية أمتعتك. هل ستكونين هنا؟».

أضاف الجملة الأخيرة حين رأى الشك في عينيها. وأدركت أن ليس لديها سوى خيار واحد يتوقف عليه مستقبل شارلوت وسعادتها.

\*\*\*

عندما توجه لويجي إلى مكتبه تملكه شعور خفيف بالضيق. لم يكن واثقاً تماماً من أنه سيجد ميغان في البيت عندما يعود. من ناحية

أخرى، فإن غيرتها من سيرينا أمر حسن، لأن هذا يعني أنها ما زالت تكن له بعض المشاعر. قد يكون هذا لمصلحته، إلا أن عليه أن يتوخى الحذر. لا يمكن أن يدع سيرينا تكدر ميغان.

كانت سيرينا ممتازة في عملها، وهو لا يدري ما سيفعل من دونها. كان أحياناً يكافئها بدعوتها إلى العشاء أو إلى المسرح. كان يدرك تماماً أن سيرينا مفتونة به، لكن الشعور ليس متبادلاً بينهما. ورغم أنه فقد الأمل في عودة ميغان إليه إلا أنه لم يشأ أن يسمح لامرأة تحل مكانها. كان يتصرف مع صديقاته بشكل رسمي ومحدد... وكُنَّ يفهمُن الإشارة ما عدا سيرينا. وتساءل عما قالته ليغان بالضبط. ربما كان عليه أن يسألها.

لكن الفرصة لم تسنح له. كان يدير إمبراطوريته من الطابق العلوي لمبنى يضم أفخم المكاتب في منطقة حوض السفن في لندن حيث المناظر رائعة الجمال. لكنه اليوم لم يجد وقتاً لينظر من النافذة، فقد وقعت مشكلة في إحدى شركاته التلفزيونية حيث أقدم موظف ساخط على سرقة برنامج أعدّ لعيد الميلاد. عندما وصل إلى البيت كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة. وكان قد اتصل بميغان من سيارته وهو في الطريق، شبه متوقع أن تكون رحلت، فتملكه الارتياح عندما أدرك أنها لم تفعل. ولم يدهش عندما بدا عليها الغضب.

وجدها متكورة في كرسي في غرفة الجلوس مستغرقة في كتاب إلى حد أنها لم تسمعه يدخل. وعندما لفظ اسمها نظرت إليه بحفلة.

- وأخيراً ابتعدت عن سيرينا.

قالت هذا باتهام وعينين غاضبتين حادثين كالخنجر، عينان تحوّل لونهما لأزرق إلى لون بنفسجي كلون الكتزة التي ترتديها. وكان قد لاحظ من قبل أن أي لون تلبسه ينعكس على لون عينيها.

- لقد شرحت لك الأمر هاتفياً.

كلّمها بصبر أو على الأقل هذا ما ظنه، لكنها لم تدع الأمر يمرّ

بسهولة... وأراد أن يهزها هزاً... لكنه يعلم أن هذا لن يفيد. لكن الصبر ما كان يوماً إحدى مزاياه.

وتابعت تقول: «لم تعدني هذا الصباح فقط بأن تخفض ساعات عملك؟ يا لذاكرتك الضعيفة! لماذا لا يدهشني هذا؟»

قال بحدة: «كان عليّ معالجة بعض الأمور. ألم تصغي عندما كنت...»

قاطعته بهدوء مصطنع: «آه، نعم. لقد سمعت كل ما قلت». - ولم تصدقيني؟ حسناً، سينشر هذا في الصحف غداً. فقد اشتم العديد من الخبرين الصحافيين خبر ما حدث. كان يمكن لذلك أن يدمر الشركة.

- وهل تعرفون الفاعل؟

- نعم. فقد أخبر أحد زملائه متباهياً قبل أن يغادر، بأنه سيجعل الشركة تركز على ركبتها. من المؤسف أن كلامه لم يؤخذ على محمل الجد، ما سيسبب صداماً بالغاً لأيام، وربما أسابيع أو أشهر.

- وهل هذا يعني أنك ستأخر في العمل مرة أخرى؟

- سأحاول أن أتجنب ذلك.

لكنه قرأ في وجهها أنها لم تصدقه. ولم يستطع أن يجزم صادقاً بأنه لن يفعل. كان من الرجال الذين لا يؤمنون بإحالة المسؤولية إلى الغير.

- هيا بنا نحضر أمتعتك. سأطلب من إيمي أن تنتبه لشارلوت.

فقالت وهي تستقيم في جلستها: «في هذه الساعة؟»

إيمي هي الخادمة، فتاة سمراء ضاحكة ومطبعة. تساءل لويجي عما إذا كانت ميغان تعلم كم هي رائعة الجمال. كان وجهها خالياً من الزينة فبدت في الثامنة عشرة. وأجاب: «ولماذا لا؟»

فقالت بازدراء: «وطبعاً، ستأخر غداً في العمل. إذا لم نحسم الأمر الآن فلن نفعل قط. ربما لم يكن من المستحسن أن...»

قاطعتها بسرعة وغضب: «لا أراك ستغيرين رأيك. هيا، ارتدي



معطفك. سنغادر الآن».

كان مصمماً على ألا يفقد ميغان مرة أخرى مهما كلفه ذلك، وتملكه الارتياح عندما امتثلت لما يريد. وبعد دقيقتين هبطت السلم مرتدية معطفاً من صوف الجمل ووشاحاً أحمر حول رقبتها فالبرد شديد في الخارج وهي تعلم أن بيتها سيكون بارداً الآن.

سارت بهما السيارة دقائق عدة قبل أن يقول: «أظنك ستبيعين بيتك؟».

- إنه بيت مستأجر.

- ماذا ستفعلين إذن؟ هل يقبل المالك مبلغاً من المال تعويضاً عن إلغاء العقد؟

قالت بفتور: «لي شريك في البيت».

تملكه التوتر فقد نسي مسألة صديقها، واستغرب أنها لا تبدي أي اهتمام. ساءه أن يدرك مدى جهله بطريقة تفكير زوجته. في الواقع، هل استطاع أن يعرفها قط؟ أليس صحيحاً أنه كان مأخوذاً كلياً بعمله؟ من الناحية الجسدية، كانا مكثفين تماماً. لكن ماذا عن الناحية العقلية والروحية؟ وملاه الحزن: «ماذا سيقول عن انتقالك للعيش معي؟».

- من؟ آه، جيك. ليس هناك الكثير ليقوله فأنا ما زلت زوجتك الشرعية.

بدت هادئة تماماً مما أغضبه. قال بعنف: «إذا كنت تظنين أنك ستبقين على اتصال به، فانسي الأمر».

- هل قلت لك إنني سأفعل هذا؟

أترأه يعالج الأمور بشكل غير مناسب؟ لعل هذا الشاب جيك لا يعني لها شيئاً. ولعل سكنه معها في الشقة مجرد تدبير لإنقاص الكلفة، لكنه غير واثق من هذا التعليل. وتصور ميغان مع رجل آخر تتصرف معه كما تتصرف معه هو ما جعل البرودة تسري في عروقه. أجاب: «لا، لم تقولي، من الأفضل ألا تقوليها. إذا كان هنا الليلة فسأخبره بذلك

بنفسي. سوف...».

قاطعتها: «ليس عليك أن تقلق. إنه في باريس مع خطيت».

أوقف لويجي سيارته بجانب الطريق: «ماذا قلت؟».

- قلت إن جيك وجيني يمضيان العيد في باريس. جيني هي شريكتي في الشقة.

- ولماذا لم تخبريني بذلك منذ البداية؟

لقد استغفكت، وكره هذا منها.

- استتاجك الخاطيء جعلني أشعر بالتسلية.

- حسناً. أنا أرى الأمر مسلياً. لقد عانيت من كافة أنواع الهلع

وأنا أتصورك معه في البيت.

- ما كان بإمكانك أن تفعل شيئاً حيال هذا. ولكن هل تظن حقاً

أنني كنت سأنتقل إلى بيتك لو أتي على علاقة بشخص آخر؟

ظن أنه لم يترك لها خياراً آخر، لكنه يدرك الآن أنه كان لميغان اليد العليا طوال الوقت. فقال عابساً: «أحب أن أظن أنك كنت ستنتقلين من أجل شارلوت».

عاد يقود السيارة بسرعة وغضب وصمت حتى وصلا. كان المنزل بارداً كالثلج فقال لها وهو يدعك يديه ببعضهما البعض: «البيت بالغ البرودة. أرجو ألا يكون الماء قد تجمد في الأنابيب. ما كان لك أن تتركه غير مدفاً بهذا الشكل».

- ومن سيدفع ثمن الوقود؟

- وكيف ستدبر صديقتك أمرها؟

- ربما سينتقل جيك إلى هنا. ما أعرفه أنها لن تكون مسرورة عندما تعلم أنني تركت البيت من دون إشعار مسبق.

- لا تقلقي فأساعدها مادياً.

فقالت وهي تضع الملابس في الحقيبة: «ها قد عدنا مرة أخرى إلى المال الذي يحل كل المشاكل. أهذا كل ما تعرفه؟ حسناً، هذا ليس

مبدئي، ولا أريدك أن تبين جيني بتقليدك المال إليها».

لكن لويجي كان واثقاً من أن جيني لن تشعر بالإهانة، لا بل ستكون شاكرة أي عطاء. ومن لا يحب ذلك؟ لكنه لم يقل ذلك ليغان لأنه يعلم جوابها سلفاً. وقال بدلاً من ذلك: «أنت تعرفينها أكثر مني».

لكنه سيضمن إلى أن شريكها في الشقة لن تخسر شيئاً بعودة ميغان لتعيش معه.

- متى ستعود صديقتك؟

- لا أدري. أظن غداً.

كان يفضل أن تترك كل شيء خلفها ليشتري لها بديلاً عنه، لكن بعد الجدال الذي أثارته بالنسبة إلى هدايا العيد، لم يجرؤ على أن يطرح فكرته. لقد أصبحت ميغان سيدة مستقلة. وأخيراً، كتبت ورقة لجيني تركتها لها على مائدة المطبخ، ثم قالت: «أنا جاهزة. فلنذهب».

وإذا لو تبدو سعيدة وهي تقول هذا. لكن العبوس كسا وجهها الجميل. لن يكونا سعيدين كما تمنى. لكن مع مرور الوقت، وكثير من الإقناع من جانبه وعدم العمل لساعات طويلة! رغم أنه لا يعرف كيف سيستطيع ذلك، فلديه مشاكل عليه أن يواجهها. صحيح أن لديه مدراء، وهم جيدون جداً، لكنه يريد أن يبقى على علم بكل ما يجري.

فهذا سبب نجاحه. ومن المؤكد أن بإمكان ميغان أن تنفهم ذلك.

قال لها وهما يبدآن رحلة العودة: «أرجو أن تشعرني بالسعادة».

فتنهدت ولم تجب.

- لو علمت بمقدار تعاستك من قبل، لفعلت شيئاً ما حبال ذلك.

لماذا لم تتكلمي؟

- لأن هذا ما كان لينفع، لأنك ما كنت لتتغير. لم أستطع أن أستمر في العيش في عالم خالٍ. أرجو ألا أرتكب الغلطة نفسها مرة أخرى. فأنا لست واثقة من أنني أقوم بالأمر الصواب الآن ولكنني

سأحاول من أجل شارلوت.

\*\*\*

في تلك الليلة، لم تسمح ميغان للويجي بمشاطرتها سريرها رغم أنها كانت متلهفة إلى ذلك، فموضوع سيرينا منعها. لم تحب أن سكرتيرته هي السبب، لكنه تكهن بذلك.

قال لها عابساً وهما يقفان أمام باب غرفتها: «أنت ترتكبين خطأ جسيماً. سيرينا ليست ولم تكن قط أكثر من مساعدتي في العمل».

- لكننا نحب أن نكون أكثر من ذلك. كنت تدعوها للخروج، وهذا أكثر من مجرد علاقة عمل.

فتنهت: «نعم. إنها نحب أن تكون أكثر».

- وهل أنت من القوة بحيث تقاوم جاذبية امرأة جميلة؟

- بالنسبة إلى سيرينا، نعم.

ضاحت عيناها: «إذن، كان هناك أخريات؟».

فقال بصوت خشن والاستياء في عينيه: «لا يمكنك أن تلوميني، فأنا رجل نشيط وذو حاجات».

- إذن، هذا ما كنت أفعله أنا؟ أشبع حاجاتك؟

ودار رأسها. لطالما كان رجلاً ذا دم لاتيني حار ملاًها ذات يوم بالنشوة. لكنه الآن يشير فيها الغشيان. إنها تشبع رغبته... بكل بساطة. وقد عرضت نفسها لذلك بموافقته على العودة إليه!

إذا ما تجرأ على السماح لأي امرأة أخرى بأن تشبع رغباته، فستهرب من هذا المكان بأسرع ما يمكن!

- أنت مختلفة، يا ميغان. أنت زوجتي وعليك أن تعرفي هذا. إنك لي وغن بحاجة إلى بعضنا البعض. ألم تثبت ذلك؟

كان يقف قريباً منها بحيث تشتم رائحة الرجولة التي تفوح منه ما أثارها من دون حدود. لكنها تعلم أن عليها أن تكون قوية. فقالت

ثائرة: «أنا لست بحاجة إليك، كنت بأحسن حال وحدي في السنوات

الأربع الماضية. وسبب عودتي الوحيد إليك هو مصلحة شارلوت. ولكن إذا أذقتني العذاب كما تفعل الآن، فسأهرب مرة أخرى».

- هل ستكونين من الأنانية بحيث تحرمين ابنتك من أبيها فقط لأنك... لا تستطيعين أن تواجهي فكرة أنني عرفت فتيات أخريات أثناء فترة فراقنا؟ تبا يا امرأة! لم أكن أظن أنني سأراك مرة أخرى. - والآن ها أنا هنا، فهل أخبرت سيرينا أننا عدنا إلى بعضنا البعض؟

- كان لدينا أمور أهم لتحدث فيها.

فقلت تتهمه وعيناها تلمعان: «إذن فأنت لم تحبها؟ تبا لك يا لويجي. عليك أن تفعل هذا بأسرع وقت، لأنني إذا تلقيت منها أي غابرة أخرى فسأقول لها ما يجعلها تفقد حتى الرغبة في العمل معك».

أدركت ميغان أنها أصبحت من التوتر بحيث قد يؤثر ذلك سلباً على صحتها، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الاسترسال. كانت خائفة من أن تسير الأمور نحو الأسوأ وننتهي هي إلى مزيد من الألم والجراح. وهذه المرة ستعرض شارلوت أيضاً للأذى، وهذا همها الرئيسي.

قال بصوت منخفض: «أؤكد لك يا ميغان، أن لك الأفضلية عندي. وسيرينا لم يكن لها قط، ولن يكون لها أي دور في المعادلة».

بدا وكأنه يريد أن يعانقها إذ أحنى رأسه وتقدم منها فأخذ قلبها يخفق وأدركت أنها إذا ترددت فسيقت الأوان. فتحت الباب بسرعة ناشئة عن الخوف وهي تقول: «ليتني أصدقك يا لويجي».

وصفقت الباب خلفها.

أخذ قلبها يخفق وكأنها ركضت لمسافة طويلة. من السهل جداً أن تعود إلى أيامها القديمة، أن تصبح زوجة لويجي من جديد وبكل معنى الكلمة. لكن الأمر ما زال باكراً. عليه أن يثبت صدقه أولاً، وعليها أن تتحكم بمشاعرها، وألا يصدر عنها ما يجعله يفهم أنها تريده أكثر من أي وقت مضى. ستكون المهمة صعبة لكن عليها أن تمضي قدماً

وذلك من أجل مستقبلهما.

لم يداعب النوم جفניה بسهولة إذ بدا لها السرير خالياً. فبالرغم من نقاط التباين بينهما، إلا أنها لا تنكر أنهما يشكلان زوجين رائعين.

أخذت تتردد على غرفة شارلوت لتطمئن عليها. بدت هذه رائحة الجمال والبراءة من دون أي هم، سعيدة لأنها في هذا البيت مع أبيها، ومن أجلها وافقت ميغان على البقاء.

عندما نزلت في الصباح إلى غرفة الفطور أدهشها أن ترى لويجي جالساً إلى المائدة وجريدة الصباح أمامه وفي يده فنجان قهوة يتصاعد منه البخار. كان لويجي مولعاً بالقهوة. أخبرها ذات مرة أنه شرب في طفولته من الشاي ما جعله يكرهه بقية حياته.

رفع عينيه بابتسامة حارة: «صباح الخير. هل نمت جيداً؟».

هل تكذب وتقول نعم، أم تقول الحقيقة؟ لكنها كذبت: «نعم، تماماً. وأنت؟».

- نعم. أنا نمت جيداً أيضاً.

لكنها أدركت أنهما يكذبان بكل تهذيب. يمكنها أن تراهن على أنه تقلب في سريره طوال الليل متمنياً لو أنها معه، مستعيداً اللحظات السحرية التي أمضيها معاً.

عندما دخلت غرفة الطعام وتلاقت نظراتهما، شعرت بأنها فقدت سيطرتها على نفسها، فابتعدت بسرعة متظاهرة بأنها تساعد شارلوت على الجلوس في كرسيها.

أخذت شارلوت تتحدث إلى أبيها بينما استطاعت ميغان أن تتحكم بمشاعرها. يا للسخافة! كيف يمكنها العيش مع لويجي وهي تتبع القواعد التي فرضتها على نفسها فيما يملكها هذا الشعور؟ وجاءها الجواب الصارم بأن أمها سيتضاعف إذا لم تنجح علاقتهما.

انتظرت حتى أحضرت إدوين الفطور، ثم سألت لويجي: «ظننتك ستكون في العمل الآن، فالساعة الثامنة والرابع. أذكر أنك اعتدت أن

تكون في مكتبك في الساعة والنصف».

- ألم تصدقيني حين قلت لك إنني تغيرت؟  
ورفع حاجبيه ساخراً.

كان وجهه حليقاً وشعره مسرّحاً ورائحته عطرة. إنه يستعمل العطر نفسه منذ عرفته ولكنها لم تذكر اسمه. وأغمضت عينيها وأخذت تحلم به بجانبها.

سألها بجدّة: «ماذا يجري؟».

- ماذا؟ آسفة. لا... لا شيء. ثم كلاً، لا أصدقك. لكنتي مسرورة لأنني أراك عند كلمتك.

كان يرتدي قميصاً أبيض حريراً مفتوحاً عند العنق. وملكتهها رغبة غير عقلانية بأن تلمس صدره لتشعر بقوة عضلات ذلك الجسم... لكي...

- ميغان؟

وأعادها مرة أخرى إلى حاضرها: «هل أنت واثقة من أنك نمت ساعات كافية؟ تبدين وكأنك في غيبوبة. هل آخذ إجازة وأرعى شارلوت بينما أنت...».

فهتفت بقوة: «كلّاً! ما من خطب فيّ. كنت أفكر في أمر ما، وهذا كل شيء. ممممم... ما أطيّب رائحة هذا الطعام!».

أثناء تناولهما الطعام، كانت واعية إلى أنه يتأملها. وعندما أنهت شارلوت طعامها وركضت إلى المطبخ لكي تساعد «إدوين»، قال: «فئة خطب ما، اليس كذلك؟ أرجو ألا تكوني قد غيرت رأيك للمرة الثانية، أو بالأحرى الثالثة؟ هذا بيتك الآن».

فقالت بهدوء: «أعلم هذا، وليس عليك أن تذكرني فأنا لا أنوي الرحيل. ليس الآن على أيّ حال».

فقال وهو يعرض عليها فنجان قهوة: «بالمناسبة، لقد استخدمت مربية لشارلوت».

- ماذا فعلت؟

استيقظت تماماً، وتوهجت عيناها غضباً: «لماذا فعلت هذا؟ فأنا أجد رعاية ابنتي».

- طبعاً وقد أثبت ذلك. ولكن أليس من المستحسن أن يكون لديك بعض الوقت لنفسك؟

- لا... هذا غير صحيح. من الأفضل أن نتصل بها الآن ونخبرها بأنها غير مرغوب فيها. ليس لديك فكرة عما يحتاجه الطفل. لا يمكن أن ترعاها امرأة غريبة، فحب والديها ووقتها أهم بكثير.

وثار غضبها، كيف يفعل هذا من دون استشارتها؟ وكان الجواب أن هذا سهل، فهو معتاد على إصدار الأوامر، وعلى تنظيم الأمور. لكنها ليست أحد مستخدميه لكي يخبرها بما عليها أن تفعل.

فقال وهو يتذرع بالصبر: «فكرت في أن من المهم لنا أن نمضي مزيداً من الوقت معاً. علينا أن نعوّض الكثير مما فاتنا يا ميغان».

فقالت بجدّة: «وكيف تفعل ذلك وأنت تعمل لساعات طويلة؟».

قال بخشونة وهو يقف ويحلق فيها: «سأوفر وقتاً لذلك».

ردّت وهي تقف أيضاً: «ها... هذه ستكون بداية. وكم سيدوم هذا؟ يوم، يومان؟ الأسبوع بطوله على الأكثر؟».

فقال وعيناه تلمعان: «لقد اختلف الأمر الآن بعد أن أصبح لديّ ابنة. إنني رب عائلة الآن وأنوي رعاية أسرتي».

فصرخت نائحة: «واستنجار مربية جزء من هذه الرعاية؟ ماذا لو لم تحبها شارلوت؟ ماذا لو...؟».

- سنجرّب! كفى جدالاً الآن.

اندفعت ميغان خارجة من الغرفة فالجدال مع لويجي وهو في هذا المزاج لا يفيد. عندما تحضر المربية ستخبرها بأنها غير مرغوب فيها.

يمكن أن يقول ما يشاء لكن شارلوت ليست بحاجة إلى مربية لا سيما وأنّ أمها في المنزل طوال النهار لترعاها.

وإذا أراد لويجي أن يمضي مزيداً من الوقت في البيت، فعليه أن يصبر على ابنته أيضاً. لن يتخلص منها بهذه السهولة. وتساءلت إن كان يجد ابنته الشديدة الحيوية، مزعجة فهو لا يجب أن يفسد نظام حياته اليومي، والمربية تحمل المشكلة. وهذه قضية أخرى معقدة تحملها نفوده. وتفجر غضبها وهي تبحث عن ابنتها في المطبخ. كيف يجرؤ على إصدار الأوامر؟ كيف يجرؤ على أن يحاول أن يتسلم زمام حياتها؟

عندما رأته مرة أخرى كان المساء قد حلّ من دون أن يتلاشى غضبها. وحالما رقدت شارلوت، ابتدأت هجومها: «أرجو أن تكون قد ألغيت فكرة المربية».

فقطّب جبينه: «ولماذا أفعل ذلك؟».

- أتعني أنك لم تصخ إلى أيّ كلمة مما قلته لك؟

وتوهجت عيناها غضباً كما تصلّب جسمها وضربت على صدره بقبضتها: «إذا كنت تستطيع أن تتعامل مع شارلوت فهذا لا يعني أنني بحاجة إلى معونة».

وكان جوابه بأن جذبها إليه بشدة ليشلّ حركتها فلا تستطيع ضربه: «فعلت هذا من أجلنا وليس من أجل شارلوت».

واخترقت عيناه عينيها، فسرت في كيانها رعشة رغم شعورها بالغضب. وتابع بقوة: «نحن بحاجة إلى وقت. علينا أن نعوض عن أربع سنوات كاملة».

- أتظن أن تسليم ابنتنا لامرأة غريبة سيساعد في ذلك؟ بالنسبة إليّ، ليس هناك ما نتحدث عنه. ما زلت مقتنعة بأنني قمت بالعمل الصواب.

فشخر بغيظ: «إذا كان الأمر يتعلق بي وبك، فقد أفهم ذلك لكنتي لن أغفر لك قط حرمانك لي من ابنتي في سنواتها الأولى».

- أشك في أنك كنت لتراها كثيراً، إلا إذا نسيت أن غيابك المتواصل هو سبب هربي من البيت.

فقال وهو يشد ذراعيه حولها: «تبا، يا ميغان. لماذا تذكريني دوماً؟ ما أريد أن أعرفه هو، لماذا لم تتحدّثي إليّ عن ذلك؟».

فصرخت في وجهه: «لقد فعلت ذلك مرات كثيرة، صدقني. لكنك لم تكن تصغي إليّ، وتلك هي المشكلة. كنت مستغرقاً في أعمالك إلى حد أنك لم تستوعب ما أقول. كنت تظن أن تكوين ثروة هو من أولوياتي أنا أيضاً. حسناً... دعني أخبرك...».

وقطع عليها كلامها بعناق حار فأدركت ميغان أنها ضاعت.



لم يستطع لويجي أن يتقبل فكرة أن ميغان تعارض مسألة إحضار مربية لشارلوت، فهذا حل ممتاز لأنهما بحاجة لقضاء مزيد من الوقت معاً. إنهما بحاجة إلى تسوية المشاكل التي جعلتها تهرب. كيف يمكنهما ذلك مع طفلة في الثالثة من عمرها تتطلب انتباههما؟ لقد فكر كثيراً في وضعهما وقرر أن يعطي مساعديه مزيداً من الصلاحيات لكي يتفرغ لميغان. ورغم أنه يفضل أن يشارك في حل مشاكل العمل في شركته الجديدة، كما يجب أن يراقب إدارة مجموعة متاجر جيرارد، إلا أنه يعلم أن لديه مستخدمين في منتهى الكفاءة.

إنه لا يدفع رواتب جيدة من دون مقابل، بل يتوقع اجتهاداً في العمل وولاء، وهذا ما يحصل عليه عادة. كانت رغبته فقط هي التي تدفعه إلى التدخل في كافة جوانب عمله المختلفة ما يشغله ساعات طويلة. لكن الحاجة إليه الآن في مكان آخر أكثر أهمية. لعلها أكثر أمور حياته أهمية فمستقبله متوقف عليها.

اشتدت ذراعه حولها. لقد عادت ميغان إليه! إنها له على الدوام. لقد اقترف أخطاء في الماضي لكن مستقبلهما أصبح صافياً شفافاً. إنهم الآن أسرة مكونة من ثلاثة أفراد، لا يمكن لأحد أن يفرق بينهم. واستخدام مربية ضرورة بالنسبة إليه ولميغان لأنها بحاجة ماسة إلى الوقت. إنهما بحاجة إلى تجديد عهود الزواج، إلى تجديد حبهما الذي شدّهما ذات يوم إلى بعضهما البعض.

في يوم تعارفهما وقع في حبها على الفور. وحتى لو لم تسمح له

بإيصالها إلى البيت مع أكياس الهدايا التي تحملها، كان سيبحث عن طريقة أخرى ليتعرف إليها. ولعل مقابلته لها مرة أخرى يوم العيد كان فحماً حسناً. سرته هذه الفكرة وزاد عناقه، وزاده سروراً تجاوب ميغان معه.

شعرت ببهجة بين ذراعيه، والتصقت به. ودعا الله بصمت أن تسمح له بالعودة إلى حياتها كزوج، فقد ذاق الفردوس معها ثم عادت فحرمته منه. في ساعات الليلة الماضية التي لم تنته، توجه مرات عدة إلى باب غرفتها، يريد أن يندفع إلى الداخل غير مكترث برفضها، لكنه كان يتراجع ليعود إلى غرفته.

لكنها تضعف الآن والحمد لله. الطريقة التي كانت تعانقه فيها عكست استسلاماً تاماً وحملها بين ذراعيه وتوجه إلى الأريكة.

همس في أذنها بصوت أجش: «يا جميلتي ميغان. ليس لديك فكرة عن مدى صعوبة وجودك في بيتي من دون أن تسمح لي بأن المسك».

- لا تحدث!

وأخذت تعانقه بمشاعر مشبوبة حتى شعر وكأن أحلامه تحققت. وفجأة، تعالى صراخ شارلوت وقطع عليهما متعتهما. اندفعا واقفين على الفور... وصعدت ميغان السلم برعب وهو خلفها. ماذا حدث لابنته؟ أتراها سقطت؟ أتراها أصيبت بأذى؟ وخفق قلبه وهو يدرك مدى حبه لصغيرته الذي نما خلال أيام قليلة.

وجدت شارلوت جالسة في فراشها وعيناها متسعتان. قالت ميغان وهي تبطن سيرها: «إنها نائمة، وهي تحلم».

- هل يحدث لها هذا غالباً؟ أن تحلم مفتوحة العينين؟

بدا له هذا غريباً للغاية.

- فقط عندما تكون متكدرة. إنه كابوس كما أظن، وهو يتكرر دوماً.

عندما رآها جسم شارلوت يعود فيسترخي، ظهرت على فمها ابتسامة

وتكوّرت تحت الأغطية مرة أخرى.

انحنّت ميغان عليها ومنحتها قبلة رقيقة: «أحاول ألا أوقظها لأنها لا تتذكر».

فقطّب جبينه: «ماذا كدرها يا ترى؟».

هزّت ميغان كتفها وهي تسوي الغطاء: «علها سمعنا نتجادل.

إنها حساسة للغاية، ونحن لم نخفض صوتنا».

- لكننا كنا بعيدين للغاية.

لكن شيئاً من الشعور بالذنب سبّب له ضيقاً، عليه أن يتعلم الكثير عن الأطفال: «هل ستكون على ما يرام إذا تركناها؟».

- سأملك في حجرتي ليلاً خشية أن تعاودها هذه الحالة. وحدي!

أضافت الكلمة الأخيرة محذرة، فزّم شفّيته: «لم تنه ما بدأناه بعد».

فردّت عليه بجدّة: «تلك كانت غلطة».

- كما كان زواجك مني غلطة؟

لم يستطع أن يمنع نفسه من السؤال، فقد منى نفسه بأن تكون هذه

الليلة هي الليلة التي يدركان فيها أنهما لا يستطيعان أن يناما مفترقين.

وأن يفقد هذا كله لأن شارلوت حملت حملاً سيئاً، أمر جعله يُجن.

- هذا صحيح.

كانت عيناها باردتين وقد تلاشت مشاعرها المحمومة، ذابت كما

تذوب نفث الثلج في الخارج.

زجر قائلاً: «تحشين الاعتراف بأنك ما زلت تحبيني. أنت تكذبين

الآن».

فقال بصوت كالفحيح: «أنت نحلم».

- لماذا تذوبين إذن بين ذراعي عندما أعانقك؟ لماذا تبادليتني عناتي

بمشاعر من الحميمية بحيث يبدو كل ما تقولينه كذباً؟ أخبريني يا زوجتي

العزيزة. أنظري في عيني وأخبريني أنك لا تشعرين نحوي بشيء».

\* \* \*

استيقظت ميغان مجفلة فقد حلمت بلويجي، وتملكها شعور غريب

بأنه يقف بقربها. لكن الغرفة كانت خالية، حتى شارلوت لم تتحرك

بعد. أضاءت المصباح بجانبها، ونظرت إلى الساعة التي كانت تشير إلى

السابعة والنصف تقريباً! من غير المعتاد أن تبقى ابنتها نائمة بل اعتادت

أن تأتي إلى سرير أمها فتغفوان مرة أخرى مدة ساعة.

نزلت من سريرها وسارت إلى النافذة. كان الجو معتماً هادئاً بارداً

في الخارج، وأبيض موحشاً نتيجة تساقط الثلج. وتوجهت إلى باب

ابنتها. ما لم تتوقع رؤيته هو لويجي ممسكاً بيد شارلوت، وهما نائمان.

بقيت حوالي دقيقتين واقفة تنظر بعجب. هل كانت غريزتها على حق

عندما شعرت أنه بجانب سريرها؟ لم تعجبها فكرة دخوله إلى غرفتها في

منتصف الليل. كان بإمكانه أن ينام بجانبها على السرير من دون أن

تشعر به! هل كانت هذه نيته ثم غير رأيه وقرر، بدلاً من ذلك، أن

يجلس بجانب ابنته؟

لقد أخبرته الليلة الماضية أنها لا تشعر نحوه بشيء، وأنه يستطيع أن

يشيرها جسدياً ليس إلا. حتى أنها نظرت في عينيه مباشرة، وهي تقول

ذلك لأن كلامها صحيح. إنها لم تحبه، لا تحبه.

وفجأة انتبهت إلى أن لويجي فتح عينيه وأخذ ينظر إليها، فسألت

هامسة بغضب: «ماذا تفعل؟».

وبلطف، ترك يد ابنته ثم تقدم نحوها متصلباً. أغلقت ميغان الباب

ثم حملت فيه تنتظر جوابه فقال: «لقد صرخت شارلوت مرة أخرى».

تملك ميغان الذعر لأنها لم تسمعها، وصعب عليها تصديق ذلك.

- هل أنت متأكد؟

قال وهو يتمطى متائباً: «ما كنت لأجلس بجانبها لو لم أسمعها».

وانفتحت عباةته الحريرية، كاشفة عن سروال قصير وصدر عار

أسمر.

تسارعت دقات قلب ميغان، بينما تابع يقول: «لم تستيقظ. لكن

رأيت أن على أحد منا أن يبقى معها. وبما أنك كنت تبدين مرتاحة رائحة الجمال في نومك، فلم أشأ أن أزعجك».

قالت بغضب: «كان عليك أن توقظني. مكاني معها».

فقال وعيناه تلمعان تحذيراً: «ليس بعد الآن. إننا نتشارك في المسؤولية حالياً».

أيام شراكتها مع لويجي ذهبت منذ زمن طويل فهو رجل مستقل يفعل ما يريد وهو يظن حالياً أن الجلوس وإمساك يد شارلوت أمر حسن. هل سيسارع إلى سريرها بهذا الشكل لو كانت تنقياً؟ وبشكل ما، ساور ميغان الشك.

- نتشارك في المسؤولية؟ ومع ذلك تزج نفسك باستخدام مربية. ما هذا النفاق؟

- هذا أمر مختلف. إنها ضرورة.

- ما زلت مصرراً. أنا لا أظن ذلك، فأنا أحب رعاية طفلي. لعلك لم تتبه إلى ذلك. لا أريد أن تفعل امرأة غريبة ذلك من أجلي.

- لقد قلت كل ما لدي في هذا الأمر.

ثم اتجه نحو الباب.

عندما ذهب، كانت شارلوت قد استيقظت فنزلتا إلى غرفة الفطور التي تركها لويجي. قال وليام: «قال إنه لن يغيب سوى ساعتين، فقد طراً أمر مستعجل».

وفكرت ميغان بمرارة في أن هذه هي العادة دوماً.

لكن الغريب أنه عاد فعلاً بعد ساعتين، تصحبه شابة أنيقة ذات شعر أشقر طويل. كانت طويلة رشيقة وجيلة للغاية. وخطر لميغان أنها سيرينا فتملكها التوتر على الفور. كيف يجرؤ على إحضارها إلى هنا؟ كانت وشارلوت في الخارج يصنعان رجلاً من الثلج فتقدم لويجي منهما بوجه مشرق.

- ميعان. أقدم لك كيت سوفيت، مربية شارلوت. هذه زوجتي

ميغان، يا كيت. وهذه ابنتي.

وأدركت ميغان أنها تبدو معتوهة من دون شك وهي تقف فاغرة القم فمدت يدها إلى يد كيت الممدودة تصافحها مكرهة: «لم أكن أعلم أنك ستبدين العمل اليوم».

حاولت أن تبسم لكنها لم تستطع أن تخفي التوتر من صوتها. فقال لويجي: «رأيتها فكرة حسنة».

لكن ميغان عرفت السبب. إنه لا يريد أن تفسد شارلوت عزلتهما وحميميتهما مرة أخرى، ووجود مربية على مدى أربع وعشرين ساعة، سيفسح له المجال.

هذا الأناي! لكن إذا ظن أنها ستترك ابنتها الغالية تحت رعاية امرأة أخرى كلياً فهو مخطيء تماماً.

انحنت كيت أمام الطفلة: «وهذه شارلوت؟ مرحباً يا شارلوت. ما أروع رجل الثلج هذا! هل صنعته أنت؟».

لكن شارلوت وضعت إبهامها في فمها وتعلقت بيد أمها وأخذت تنظر إلى المرأة بفضول، فقالت ميغان ببرودة: «إنها تتجمل من الغرباء».

قال لويجي ببساطة: «علينا أنا وشارلوت أن ننهي رجل الثلج».

كانت غاضبة جداً من لويجي. ليس لديه الحق في أن يحضر هذه المرأة من دون أن يخبرها أولاً. كانت ترجو أن تتمكن من إقناعه بأنها لا تريد أن يرعى شارلوت أحد سواها. إنها فكرة جنونية. وماذا ستفعل هي طوال النهار عندما تستلم كيت الطفلة؟

عندما دخل الاثنان إلى المنزل، سألتها شارلوت: «من هي تلك السيدة؟».

تنهدت الأم ثم قالت: «لقد جاءت لتساعد الماما في رعايتك يا حبيبتي».

فقالت الطفلة بشبه صراخ: «أنا لا أريدها. أريدك أنت... وبابا».



- سنكون معك يوماً فلا تقلقي. ولكن، أحياناً، إذا اضطررنا أنا وبابا للخروج فستبقى كيت معك لترعاك».

كان هذا أفضل ما فكرت فيه من إيضاح.

- هل ستلعب معي؟

- طبعاً.

- هل ستصنع معي رجل ثلج ونتراشق بالثلج؟

- هذا مؤكد.

- هل ستقرأ لي حكاية قبل النوم؟

وشعرت ميغان بقلبيها يتحطم: «ربما أحياناً. لكن هذا عملي أنا.

فأنا أحب أن أعطيك في سريرك وأقرأ لك حكاية».

أومات شارلوت راضية ثم عادت تلعب بالثلج. ومع نهاية النهار

كانت شارلوت قد تقبلت كيت، واعترفت ميغان بأن كيت تحيد التعامل

مع ابنتها. لكن حقيقة أنها تكره وجودها لم تتغير. وعقدت النيّة على أن

تخبر لويجي برأيها.

عندما نامت شارلوت، انسحبت كيت. وكانت قد عارضت عندما

أرادت ميغان أن تحمّ ابنتها وتضعها في سريرها قائلة إن هذا عملها

هي، لكن ميغان أصرت وبقيت على عنادها.

وكان لويجي قد أعدّ للمربية غرفة جلوس وغرفة نوم قبالة غرفة

شارلوت لتكون قريبة منها عند الحاجة. وهذا أمر آخر لم ترضَ ميغان

به. لماذا على كيت أن تبقى قريبة بهذا الشكل؟

أثناء العشاء، لاذت بالصمت، والغضب يغلي في داخلها، محاولة

أن تقرر كيف تصارحه برأيها.

- لماذا لا تنطقين بما في نفسك؟

طرح عليها هذا السؤال وثار الغضب في عينيه.

- أنت تعلم أنني لم أشأ أن أحضر مربية لشارلوت، وإذا بك تستمر

في الأمر تفرضه علي.

- ألم تعجبك كيت؟

- ليس لهذا علاقة بالموضوع. أنت تعرف شعوري، ومع ذلك لم

تكن من اللباقة بحيث تناقشني في الأمر.

- لكننا ناقشنا المسألة.

- تعني أنك أطلعتني على قرارك، أما شعوري فليس له قيمة. أنت

حقير يا لويجي. لا أدري ما الذي رأيته فيك، فتزوجتك. وفي الحقيقة،

لا أدري ما الذي أفعله هنا. إنها أكبر غلطة في حياتي بعد الزواج منك.

وأبعدت صحنها وهبت واقفة: «لا أستطيع حتى أن أحتمل تناول

الطعام معك».

سمعت نبرة عدم التصديق حين وقف لويجي بدوره ووضع يديه على

كتفها مشدداً الضغط بأصابعه: «أنت لا تعنين ذلك».

فقالت بخشونة وهي تنظر في عينيه: «لا أعنيه؟».

- أنت تعلمين في أعماقك أن هذا أفضل فنحن بحاجة لبعض الوقت

لنكون معاً. في الواقع، عندما تعتاد شارلوت على كيت، ستتمكن من

أخذ إجازة لبضعة أيام.

فهتفت: «وأترك ابنتي؟».

قال بخشونة: «بل قولي ابنتنا. لا تظني أنني قد أتركها إذا لم أكن

واثقاً من أنها في أيد أمينة. لكننا بحاجة لأن نكون معاً، وحدنا تماماً.

إننا بحاجة إلى أن ننظم حياتنا».

- ها أنت ترتب هذا الأمر مرة أخرى من دون استشارتي؟ وبعد أن

أحضرتني إلى بيتك، ظننت أن بإمكانك أن تفعل ما تشاء، وهذا غير

صحيح. إنني أقوى مما تظن. وأنا مضطرة لأن أكون كذلك. وإذا

كنت لا تصدقني، فانتظر وسترى. وإذا ما تابعت بهذا الخط ستجد يوماً

ما، أنني هربت مرة أخرى.

اشتدت قبضته على كتفها إلى حد ألمها، وقال مهدداً بشكل خطر:

«قومي بهذه المجازفة لكن على مسؤوليتك. ما أفعله الآن هو لمصلحتك،

بل لمصلحتنا معاً. كيف ستمكن من التفاهم وثمة طفلة في أعقابنا طوال الوقت؟».

فصرخت: «طفلة؟ أهكذا ترى شارلوت؟ مجرد طفلة؟ إزعاج؟ كيف تجرؤ؟ إنك تجعلها تبدو وكأنها غريبة. إنها من لحمك ودمك يا لويجي، وعليك أن تكون مبتهجاً للغاية، ومسروراً بقرها منك. عليك أن تعرفها بشكل أفضل».

فقال بحسونة: «وأظن أن علينا أن نوثق علاقتنا، أنا وأنت، قبل علاقتنا بشارلوت. أنا أحب ابنتي طبعاً. لقد بعثت الحياة في البيت. إنها بنت صغيرة ذكية، رائحة الجمال وأنا فخور بها. ولكن علينا أن نصلح وننظم حياتنا الخاصة أيضاً».

فقالت بلهجة لاذعة: «هذا كلام عظيم منك. أنت من تسبب بانقيار زواجنا، وصدقني، لا أراك تغيرت. جوابك لكل مشكلة هو استخدام شخص ليؤدي عملك القدر، بما في ذلك رعاية ابنتك. كم هذا محزن».

وأخيراً، وبقوة نانجة عن اليأس، استطاعت أن تخلص نفسها منه، ولكنها لم تغادر الغرفة، بل وقفت على بعد أقدام منه تنظر إليه باهتمام. نظر إليها بعينين ضيقتين وجسم متوتر من غضب جاهد ليتحكم فيه وإن لم تكن ميغان مهتمة سواء أتحمك فيه أم لا. لم تكن تهتم بما يشعر به فكل ما يهمها هو سعادة ابنتها. قال بغضب عنيف: «أظنك تنسفين كل شيء». من مصلحتك أن تمضي وقتاً أطول مع نفسك».

فردت بحدة وعداء: «سيكون لدي الكثير من الوقت لأنك ستستمر في العمل ساعات طويلة. كل ما تقوله مجرد كلام يا لويجي. كيف يمكنك أن تأخذ إجازة؟ كل شيء سينهار إذا لم تمسك بالدقة بيدك».

سخريتها أثرت فيه فرأت فكه يتوتر ويان العيوس على وجهه... ومضت لحظات قبل أن يجيب بهدوء بالغ: «قلت لك إنني سأخذك في رحلة يا ميغان وهذا ما أنويه بالضبط».

- وماذا لو لم أشأ أن أذهب؟ شارلوت لم تفارقني قط، وأنا لن أفارقها إذا رأيت أنها قد تتكدر.

- سنمنحها وقتاً لتعتاد على كيت التي لديها كفاءات عالية. لا أظن أن لدينا مشكلة.

- ولا شك في أنك تدفع لها راتباً ضخماً. لم أتوقع منك قط أن تصبح هكذا. المال... المال... المال على الدوام. لا بد أنني كنت مجنونة حين تزوجت منك.

- هل هي جريمة أن نعيش براحة؟ أن نسعى إلى رفع مستوانا؟  
- كلا بالطبع، ولكن لكل شيء حدود. هل أنت سعيد في هذا القبر البالغ الفخامة الذي تسميه بيتاً؟ مستمتعاً برؤية أناس آخرين يتراخضون من حولك، ويسارعون إلى تلبية رغباتك؟ هل هذه هي البهجة التي يجلبها المال؟ أنا لا أراها بهجة.  
فنظر إليها متأملاً: «وما الذي يبهجك؟».

احمر وجهها من نظراته ذات المعنى التي جعلتها تشعر أنها كشفت مكونات نفسها. وتقدم نحوها قائلاً: «لا تخبريني. دعيني أريك».  
وقبل أن تستوعب ما يقصده، كانت بين ذراعيه. كانت تدرك أن عليها أن تحتج... وبصوت مرتفع... وأن تدفعه عنها بعيداً، أن تجعله يفهم أن مثل هذه التصرفات لن تنفعه. لكنها، ولحماقتها، استسلمت لمشاعرها.

استمتعت باحتضانه لها، وبالمشاعر التي أثارها في كيائها. أرادت المزيد، وهذه الفكرة نبهتها لكنها تجاهلتها. كان لويجي قد تحدث عن التعويض عن السنوات التي افترقا فيها. لكن ما افتقدته هو حياتهما كزوجين، افتقدت ذلك من دون أن تدرك ذلك حقاً، فهل تعجب للبقاء من دون رجل؟ فما من رجل يمكن أن يثيرها إلى هذا الحد.

ما كان ليغان أن تعنفه، وأن يعانقها في لحظة كهذه هو أسوأ تصرف يقوم به. لكن كيف يمكنه أن يقاوم وهي بهذه الروعة؟ تبا لها! كيف لم

يبذل جهداً كمي يعثر عليها؟ كان لويجي يعلم أنه لن يجد جواباً على هذا السؤال يوماً. كان أحق وحسب. أحق، أعمى ظن أن إغراق نفسه في العمل هو الرد المناسب.

والآن، أصبح لديه الكثير. كان يعلم أن الأمر سيتطلب وقتاً طويلاً، وأن عليه ألا يستعجل كثيراً... رغم أنها في لحظات كهذه، تبدو مرحة بتقدمه. لقد قالت إن الأمر المنجذب جسدي. ورغم أنه لم يشأ أن يصدقها، إلا أنه يشعر أحياناً بأن كلامها صحيح. وهذه هي إحدى تلك المناسبات.

تركها رغمًا عنه وتراجع خطوة، ف شعر أنها دهشت وأن أملمها خاب بشكل كبير. كانت المشاعر تجتاحها وقد عرف ذلك من وجنتيها المتوهجتين وعينيها اللامعتين. كان بإمكانه أن يحملها إلى الفراش، وهذا ما يريد هو أيضاً... وكثيراً. لكنه يود أن يريها أن العلاقة الجسدية ليس كل ما يريده.

قال: «أظن أنّ علينا أن ننهي عشاءنا».

- لست جائعة.

وهو ليس جائعاً إلا إلى هذه المرأة، زوجته. زمّ شفّتيه وأوماً برأسه إيماءة خفيفة حتى أن ميغان لم تلاحظها. لكنها زوجته... وهي له. يمكنها أن تهرب لكنه لن يطلقها أبداً. سيعودان إلى بعضهما البعض ذات يوم كزوجين سعيدين وقد ينجبان ولداً آخر يكون رفيقاً لشارلوت. المسألة مسألة وقت فقط.

ذهبت ميغان إلى النوم بقلب مثقل. كان لويجي يبذل جهده وهي تقدر له ذلك، لكنها لا تراه كافياً. كما أن السماح له بممارسة حقوقه الزوجية ليس الجواب. إنه يذكّرهما بكل ما كان جميلاً في حياتهما الزوجية ويجعلها تنسى ساعات الإهمال الطويلة. ورغم أنها شعرت بالحرمان عندما أدار ظهره وابتعد، إلا أنها تشعر الآن بالسرور وقررت ألا تدع نفسها تتورط في وضع كهذا مرة أخرى. كان الكلام سهلاً

لكن تنفيذه صعب. حتى التفكير في عناق لويجي جعلها تتلهف إليه، ولم تكن واثقة من أن بإمكانها أن تقاوم.

لكنها ستجرب فلويجي بحاجة إلى تغيير. إنه بحاجة إلى وضع مصلحة ابنته وزوجته فوق مصلحة العمل. وعندما يفعل ذلك... قد يكون هناك فرصة أخرى لزوجهما.

فكرة أن يأخذها في رحلة تستغرق عدة أيام، فكرة جيدة... ولعلها ستكون رائعة لولا وجود شارلوت، وثقتها بأنه سيعود إلى عاداته القديمة عندما يعودان. فلويجي لن يتغير أبداً، والعمل هو طريقته في الحياة، فيما تأتي زوجته وابنته في الدرجة الثانية وستبقيان معاً هكذا.

كانت شبه نائمة عندما انفتح بابها ببطء ورأت شبح لويجي عند العتبة فظننت أنها تحلم. لكن عندما تقدم من سريرها بخفة، جلست منتصبية وقلبها يخفق رغبة فيه كما ينهض طائر الفينيق من بين الرماد.

لكن الخوف تغلب عليها: «ما الذي جاء بك إلى هنا؟».

كان صوتها منخفضاً لكن الرعب تملكها. إن الاسترخاء في الفراش يجعلها في أضعف حالاتها، وسيكون من السهل استغلال ذلك.

- ثمة ما أريد أن أسألك عنه.

وقف بجانب سريرها ينظر إليها بغضب. لم تر في عينيه أي رغبة فيها، بل إن ما رآته أرسل قشعريرة في كيانها.



## ٧ - الطاغية المتكبر

قال بجدة: «لقد اكتشفت لتوي أنك لم تكوني صادقة معي».

فقلّبت وسألت: «ماذا تعني؟».

لم تكن تعلم عمّا يتحدث. ولم تره قط من قبل يوجه إليها مثل هذه النظرات الباردة المتهمة ما جعل القشعريرة تسري في جسدها.

قال بخشونة: «حقيقة أنك كنت على علاقة برجل آخر وكذبت عليّ بشأنه».

هبت من سريرها: «ماذا؟ كلامك غير مقبول. ومن هو هذا الرجل».

وارتدت عبايتها وهي تتابع: «من أين جئت بهذا الخبر؟».

فقال بصوت كالرعد: «منه مباشرة».

فهزّت رأسها وعلّقت: «كلام فارغ».

قال هازئاً: «هذا ما توقعت أن تقولي».

فقالت ورعشة باردة تتملكها: «لماذا لا تخبرني عمّن يوجه إليّ هذا الإتهام؟».

- صديقك العزيز جيك.

فقالت ورأسها يدور: «جيك؟ لا بد أنك تمزح. متى تحدثت إليه؟ لم تتصل بي جيني لتخبرني بعودتهما».

- لقد عادا. أوكد لك. لقد اتصلت بهما بنفسي.

- لماذا؟

- أردت أن أتأكد من أنها لم تخسر مالا بسبب ترك البيت فجأة.

- وقد تحدثت إلى جيك الذي أخبرك أننا كنا على علاقة. هل هذا ما تقوله؟

لم تستطع أن تفهم. لماذا يدّعي جيك هذا بينما هو غير صحيح؟

- لقد لمّح إلى أنكما كنتما صديقين قبل أن يعرف جيني. وتأكده على كلمة (صديقان) جعلني أدرك ما يحاول أن يخبرني به.

- لم يستعمل لذلك كلمات كثيرة إذن؟

- لم يكن بحاجة إلى ذلك، فقد فهمت ما يريد قوله.

كان صحيحاً أنها عرفته قبل جيني إذ عملت معه عند وصولها إلى لندن وكان يرعاها نوعاً ما. لكن لم تنشأ بينهما أي علاقة أخرى، رغم أنه كان ليرحب بذلك. لم تكن تشعر بأنها على استعداد للارتباط بأي رجل. وذات يوم، عاد معها إلى شقتها ليستشير كتاباً فتعرّف إلى جيني، وقد تملكها سرور بالغ عندما توثقت الصداقة بين الإثنين.

سألته ببرودة: «ولماذا يزعمك أن تعلم أنني ربما عرفت رجلاً غيرك أثناء افتراقنا؟».

خطر في بالها أن هذا قد يكون لصالحها، فقد عرف لويجي فتيات عدة. لكن أن تعرف هي رجلاً آخر أثار سخطه وقد تكون هذه طريقة توقفه عند حده.

أجاب وهو يهّب وافقاً: «لأنك زوجتي».

كان ضوء المصباح ينعكس في عينيه فيضيئهما، فيما الوحشية تكسو ملامحه... لكنه بدا لها رائع الوسامة.

طردت هذه الأفكار من ذهنها فلويجي عدوها الأول، وعليها أن تتذكر ذلك. يجب ألا تنظر إليه كعاشق خبير يمكنه أن يذيعها بلمسة أو نظرة. لم يكن لويجي عادلاً معها أبداً، حتى لو لمرة واحدة في حياتهما الزوجية. إنه أناني لا يفكر إلا في ذاته. وطردت من ذهنها حقيقة أنه راع ممتاز لبيته ورجل أعمال خبير. ما تريده هو حب غير جسدي من رجل طيب، والحب لم يكن على قائمة أولويات لويجي. كانت تشك في

وجوده في حياته أصلاً.

قالت متوترة: «أنا لست امرأتك. لقد تخلّيت عن كافة حقوقك حين اخترت أن تقدّم العمل على زواجك».

فهتف: «لقد فعلت هذا من أجلنا معاً».

- هذا ما تقوله دوماً، لكنه لم يكن ما أريد.

فسألها غاضباً: «وهل منحك جيك ما تريدينه؟».

- هذا يخصني أنا.

رأت الغضب في عينيه وتقدم نحوها بشكل خطر لكنها ثبتت في مكانها والتصميم العنيف في عينيها. ومع ذلك، لم تستطع أن تنكر المشاعر التي تملكها... مزيج من الإثارة والكراهية.

- أذكرك بأنني لا أريد أن يمسك أي رجل آخر.

كانا من القرب من بعضهما البعض بحيث شعرت بأنفاسه على وجهها وبجراحة جسده، حتى أنها استطاعت أن تشتم رائحة رجولته التي أخرجتها عن تعقلها ذات يوم. وتابع يقول عابساً: «إنك امرأتي. يمكنك أن تنكري ذلك كما تشائين، لكنك مرتبطة بي طوال حياتك».

إذا لم يكن هذا تحذيراً، فهي لا تدري ما هو. (طوال حياتها!) شعرت وكأنه حكم بالإعدام. شعرت برغبة في أن تندفع إليه وتضربه بقبضتيها وترفسه، كي تجعله يدرك أخطائه.

لكنها خافت أن تحدث ضجة فتوقظ ابنتها. لذا، قالت بلبابة:

«استمر بالحديث بهذا الشكل، كي أعرفك على حقيقتك. الزواج لا يُبنى على التهديد، ولا على الأزواج الغائبين. وإذا كنت لا تستطيع أن تعيش مع حقيقة أنك تعتقد أنني كنت على علاقة بجيك، فساخرج من بيتك بمشيئتي».

- لا ...

دويّ صوته جعلها تدير عينيها نحو باب غرفة شارلوت، الذي كان مغلقاً لحسن الحظ. كانت أحياناً، تتركه مفتوحاً لكنها كانت تقرأ الليلة

فخشيت أن يوقظ النور ابنتها.

- سبق وأخبرتني أن أدعك ترحلين أبدأً.

- ما لم تغير أساليبك فلن تستطيع منعي. التهديد لا ينجح.

- سوف أهددك كما أشاء ما دمت لا تريدين أي تسوية معي.

- تسوية وأنت الذي تعطي الأوامر؟ أنت من أصّر على بقائي هنا،

ومن أصّر على إحضار مربية. وأنت من يصر على الرحيل أيام عدة. أما

رأبي فليس له حساب.

- لأنني أعلم أن هذا لصالحك.

انفجر غضبها: «وهذا أيضاً. متى ستضع في دماغك الغليظ أن

الزواج السعيد أخذ وعطاء؟ وكل ما تقوم به هو الأخذ. لقد مللت

هذا. غير هذا الوضع لعلنا نصل إلى حل».

نظرت إليه فرأته مزوم الشفتين ضيق العينين حتى لم تعد ترى شيئاً

من خلال جفنيه، فسرت في كيانها قشعريرة من عدم الارتياح. بدا

وكأنها تجاوزت الحد. لماذا ينبغي عليها ألا تقذف ببعض الحقائق المؤلمة؟

- سأقدر لك قبولك أن تلاقيني في منتصف الطريق يا ميجان.

لم يكن هذا هو الجواب الذي توقعته. ومع أنه جاء بلهجة صلبة

متوترة إلا أنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الشعور بشيء من الذنب

سرعان ما نبذته. ليس للذنب دور هنا، لأن لويجي هو المذنب.

ظنّت أن لقاءه بابنته سيجعله يلين لكن هذا لم يحدث. فهو لم يصبح

أباً أو زوجاً محبباً أكثر مما كان عليه في السنوات الماضية. إنه المسؤول

ويتوقع من الكل أن يهبوا عند أول إشارة منه. حسناً، ليس هذه المرة!

أجابته متحدية: «ولماذا أفعل هذا؟ لماذا أخضع ابنتي لأب

طاغية؟».

فانفجر بها: «طاغية؟ أهكذا ترييني؟».

- على الدوام.

أغمض عينيه وانقبضت أصابعه وشعرت بأنه يبذل جهده كيلا يندفع

إليها. لقد تعبت من هذه المواجهة وأرادته أن يذهب. لقد جاء إلى هنا مستعداً للقتال، وبما أنها لم تخضع له وتواضع، بقي متعطشاً إلى أن يراها كذلك.

وأضافت: «شارلوت، لسوء الحظ، لا ترى ذلك. ربما لأنها لم تمض هنا وقتاً طويلاً، كما أنك تظهر أمامها في أحسن مظهر وسلوك». شخر ساخراً: «ليس لديك فكرة عما تتحدثين عنه. الكراهية تعميك. في الواقع، المشكلة هي أنك لو تتواضعين أحياناً، لرأيت كم تغيرت».

ضحكت متوترة: «إذن، لا بد أنني عمياء. هل أنهينا هذا الحديث؟ أريد أن أنام».

قالت هذا رغم أنها تدرك أن التوتر سيمنعها من النوم. قال غاضباً وهو يتجه إلى الباب: «لعله انتهى لكن ليس بشكل مقنع».

- أتعني أنك تأملت عندما لم أنكر علاقتي بجيك؟ لو كنت مكانك لما اهتممت لذلك. فأنا لم أهتم للفتيات اللاتي عاشرتن بينما كنت أنا مشغولة بتربية إبتك. حينذاك، كنا حزينين. فلماذا نتذكر الماضي؟

توترت شفتاه مرة أخرى لكنه لم يجب بل فتح الباب وخرج بكل أدب. كانت تتوقع منه أن يصفق الباب، لكنه لم يفعل والحمد لله. لم تشأ أن تتساءل شارلوت وكيت عن السبب الذي جعله يندفع خارجاً من الغرفة كالعاصفة.

خطر في بالها أن كبت قد لا تعلم أنهما ينامان في غرفتين منفصلتين. ترى هل أخبرها لويجي عن ظروفهما؟ أم أنها تظنهما زوجين طبيعيين سعيدين؟ قد يكون الأمر محرجاً لو دخلت لتطمئن إلى شارلوت ورأت ميغان تنام وحدها!

كان لويجي يستشيط غضباً عندما أخذ يبحث عن ميغان بعد أن اتصل بصديقتهما، وأجابه جيك. عندما أعلن لويجي سبب اتصاله،

تطرق الحديث إلى ميغان إلى حد أن لويجي بدأ يكون انطباعاً بأن ما بين جيك وميغان أكثر مما اعترفت به ميغان. وتملكه شعور لا يصدق بالغيرة. فكرة أن رجلاً آخر لمس زوجته أصابته بالغثيان، وصمم على أن يستخلص الحقيقة من ميغان.

والآن، وبعد أن أعاد التفكير في حديثهما، أدرك أنه لم ينجح. إن ميغان أصعب مما يظن، وقد قاومتها بشكل يثير الإعجاب. ما زال لا يعلم ما إذا كانت حقاً على علاقة بجيك. هذه الفكرة جعلته كالمجنون.

ولم يستطع أن ينام فنزل السلم إلى غرفة عمله الخاصة، وجلس إلى جهاز الكمبيوتر. ثمة عمل يجب إن ينتهي. لكنه لم يستطع أن يعمل أيضاً. كانت صورة ميغان غاضبة، أمامه.

أما كيف استطاع أن يكبت رغبته في أن يضمها إليه، فهذا ما لا يعرفه. أراد أن ينسى كل ما قاله له جيك ويأخذها بين ذراعيه. فأمام شعرها المشعث ووجها المتوهج، وقميصها القطني، استيقظت رغبته. لقد أحب ميغان إلى حد تمزق معه إرباً عندما رفضته. هل هو حقاً من السوء كما وصفته؟

صحيح أن الإنسان يرى نفسه كما يراه الآخرون، ولكن أن يوصف بأنه طاغية؟ يأخذ دوماً ولا يعطي أبداً؟ إنه ليس كذلك، والبرهان هو الهدايا التي اشتراها لها ولشارلوت. كما أن لها هذا البيت الضخم لتعيش فيه من دون أن تهتم بالإيجار بعد الآن. كان مستعداً لمنحها كل ما تريد، حتى أنه قلل ساعات عمله، ألم تلاحظ ذلك؟

وكلما ازداد تفكيراً في الأمر، ازداد تشوشاً. تناول زجاجة عصير وسكب لنفسه كأساً شربها جرعة واحدة ثم عاد وملاها ووضعها على المكتب أمامه ليعبث بها غائب الذهن. وكلما فكر في الوضع أكثر كلما ازداد عدم فهمه لما ألهب غضبه. أفرغ في جوفه بقية كأسه ثم ألقى بها فارغة إلى المدفأة في نوبة غضب فتحطمت إلى ألف قطعة.

وفي اللحظة التالية، إنفتح الباب وبدت ميغان على العتبة متسائلة

شاحبة، وهي في فميص نومها القطني وعباءتها. ماذا جاءت تفعل هنا؟ لماذا ليست في سريرها؟ لعلها أدركت أنها كانت قاسية جداً عليه، فجاءت للمصالحة.

وأخذ قلبه يخفق توقعاً بينما راحت هي تنقل نظراتها بينه وبين القاء الكأس في المدفأة، مقطبة الجبين: «إذن، ما زلت غاضباً بالنسبة إلى موضوع جيك؟».

تباً لها! لم يكن يفترض بها أن تقول هذا. وشعر بأمله المفاجيء يتلاشى فسألها بخشونة: «لماذا جئت؟».

- كنت ذاهبة إلى المطبخ لأسخن بعض الحليب.

فقال ساخراً: «هل يؤنبك ضميرك؟».

لم يستطع أن يمنع نفسه بعد أن تبدد تفاؤله بشكل تعيس.

- ليس بمقدار ما يزعجك ضميرك أنت.

وتراجعت خارجه، مستعدة لمتابعة رحلتها.

- انتظري.

هتف بها رغم أنه لم يعرف لما فعل هذا. أراد صحبتها رغم أنه يعلم النواحي السلبية لهذه الصحبة، لكنها تبقى أفضل من لا شيء.

نظرت إليه متسائلة: «لماذا؟ لتسمعي المزيد؟ كلا، شكراً».

وهذه المرة تابعت طريقها. لكن لو يجبي لم يكن مستعداً لأن يدعها تذهب، فهو لن يستطيع قضاء هذه الليلة من دونها: «ميغان أرجوك».

ترددت، ثم وقفت.

- تعالي وتحدثي إليّ.

- ولماذا أفعل هذا؟

- من الحمافة أن بتملكنا الأرق معاً. يمكننا أن نجلس مع بعضنا البعض.

- لن أفعل إذا كنت ستبدأ معركة أخرى.

كانت قد التفتت إليه لكنها ما زالت مستعدة للهروب.

مدّ لها يديه: «فلنعد هدنة».

- وكيف أصدقك؟ سبق لك أن شنتني وأغرقتني وقطعتني. لماذا

عليّ أن أجالسك وقد ازدادت تعاسي؟

- لأنني لست قادراً على احتمال وحدتي حالياً.

كان يكشف عن مشاعره كما لم يفعل من قبل فلطالما بدا للآخرين بصورة الرجل المتحكم في نفسه. وهو كذلك في العادة. لكن ميغان هي الوحيدة التي استطاعت أن تغرس الشك في نفسه... الشك واليأس.

- أتعتني أنك قد تقذف مزيداً من الكؤوس؟ أهني صورتي التي

قذفتها بالكأس أم اشمزازاً من نفسك؟

أجفل، لكنه رفض أن يقرّ لها بمدى صحة تخمينها. وأجاب:

«لعلها فكرة سيئة. لم أكن أنوي أن أكرر ما حدث في الطابق العلوي.

كل ما فكرت فيه هو أننا قد نستمتع بشيء من الصحبة. ولكن إذا كان

هذا يفوق طاقتك...».

رأها تتردد ولاحظ الشك في عينيها، لتقرر أخيراً بأنه قد يكون على

حق. فأجابت بهدوء: «لا بأس. لكنني ما زلت أريد بعض الحليب

الساخن. ماذا عنك أنت؟».

ولكن إذا كان هذا يساعد على جعلها تجلس بجانبه..

- وأنا أرغب في ذلك. هل...؟

- هل تأتي معي لتساعدني؟ لا، شكراً! سأعود بعد دقائق.

أخذ ينظر إليها وهي تسير في الممر. كانت تسير كعارضة أزياء ما

أيقظ أحاسيسه إلى درجة جعلته يتساءل عما دهاه ليدعوها للجلوس

معه. لن يستطيع أن يلمسها فبينهما فجوة تجعل من الصعوبة، إن لم

يكن من المستحيل، وضع جسر فوقها خلال دقائق أو حتى ساعات.

قد يتطلب الأمر أياماً وأسابيع، لكنه ليس صبوراً إلى هذا الحد.

بالنسبة إليه، كان الأمر بسيطاً. لقد استأنفا علاقتهما الزوجية على

أن تتبعها البقية. لكنها جعلت التقدم صعباً، فهي تجرد دوماً المشاكل

حيث لا توجد مشاكل . لن يفهمها أبداً .

وفي الدقائق الخمس التي استغرقها تسخين الحليب، كان هو قد توصل إلى قرار يقضي بأن يفتح قلبيهما لبعضهما البعض، وبشكل حقيقي . هذه هي الطريقة الوحيدة لحل مشاكلهما . ولعل الآن، في منتصف الليل، هو الوقت الأنسب لذلك . فلن تقاطعهما شارلوت أو أي مخابرات هاتفية . لا شيء ما عداهما . . . معاً .

عادت تحمل الشراب على صينية مع صحن من البسكويت المعد في البيت . كان يعلم أنه سيختق إذا حاول أن يأكل واحدة . ما كان يريد هو ميغان نفسها . أراد أن يجعلها له كما هو لها .

لكنه يعلم أنه لا يستطيع ذلك .

إنها تتجنبه الآن . لكن هذا مؤقت فقط !

ولكن، في وقت قريب . . .

قضمت ميغان قطعة بسكويت وهي تجلس على كرسي أمامه بعيدة عن متناول يده . كانت المدفأة المشتعلة تدفئ جو الغرفة، وعباءتها القرمزية اللون مفتوحة . يا إلهي . . . إنها زوجته . لكنها تغطي نفسها كالراهبة .

تناول فنجان الحليب وأحاطه براحتيه ثم أغمض عينيه كي لا يراها .

- هل أنت متعب الآن؟ هل أذهب؟

فتح جفنيه وردة: «لا، أبداً . كنت أفكر» .

- تفكر بماذا؟ بنا؟

هز كتفيه: «وهل هذا مهم ما دمت قد قررت أن . . .» .

- أنا لم أقرر شيئاً .

- لا أرى منك ما يدل على رغبتك في العناق وغير ذلك .

- علينا، قبل العناق، أن نتحدث . أن نحلل اختلافاتنا . تلك هي

الطريقة الوحيدة .

- أنا أحاول .

رفعت حاجبيها الجميلين: «لعلك تخدعني» .

تملكه الغضب وكاد ينفجر لكنه تمالك نفسه بجهد، وقال بحذر: «لعلك لا تنظرين إلى الأمور بتجرد فقد بت مقتنعة بأنني المذنب في كل ما يحدث، ما يجعلك لا تلاحظين التغيرات» .  
- عددها لي .

لم يشأ أن يفعل ذلك إذ ليس لديه الجواب: «إذا كنت لا تستطيعين رؤيتها بنفسك، فقد أضيع وقتي» .

فقالت متأملة: «لاحظت أنك لم تعد تمضي وقتاً طويلاً في العمل، لكنني ظننت أن السبب هو عطلة العيد . وهذا لا يثبت شيئاً» .

فقال بحدة: «وهل سبق وأخذت عطلة يوم عيد الميلاد؟» .

- نعم، في أول سنة من زواجنا . أمضينا معاً عيداً رائعاً .

ولمعت عينها للذكرى فرأى فيها لمحة من الفتاة التي أوقعت في شرك غير مرئي لا يمكن اختراقه . وتابعت: «بعد ذلك، كنت تأخذ إجازة يوم العيد فقط، ومع ذلك تتدمر» .

تذكر أن عقله كان مشغولاً دوماً بفكرة تنتج مالأ . وعندما استعاد تلك الذكريات رأى أنه فعلاً لم يكن يبذل أي جهد لإرضائها، فقال بصوت قوي حازم: «لكن لا بد أنك ترين أنني أبذل جهدي لقضاء مزيد من الوقت معك» .

فقال: «والى متى سيدوم هذا؟» .

- سيدوم إلى الأبد إذا تعاونت معي، فلا ترفعين صوتك بالشكوى كلما كنت موجوداً .

عندما رأى عدم التصديق في عينها، أضاف: «أنا جاد، يا ميغان . أريد لعلاقتنا أن تنجح . إنك كل حياتي يا ميغان ولا معنى لها من دونك» .

حلّت الدهشة مكان عدم التصديق: «لم يسبق أن قلت شيئاً كهذا من قبل» .



- لم أشعر أن عليّ أن أقوله . ظننتك تعلمين .

- أنا لا أعرف شيئاً إلا إذا أخبرتني به .

هل يخبرها أنه يحبها؟ وهل هذا معقول؟ وجد صعوبة في أن يقول هذه الكلمات . لكن من المؤكد أنها تعلم . ولماذا يريد أن يعود إليه إذا لم يكن يحبها؟ أخذ يرشف الحليب وهو يتأملها من فوق حافة الفنجان . يمكنه أن يثبت لها في فراش الزوجية مدى حبه لها . . . لو سمحت له بذلك . أتراه يجرؤ على أن يطلب منها هذا؟ إنه لا يظن ذلك .

من المحتمل أن تصفعه على وجهه . ولكن حتى هذه اللمسة العنيفة أفضل من تلك المسافة البعيدة التي تفصل بينهما . . .

أخذت ميغان ترشف حليبها ، هي أيضاً ، متجنبه عينيه .

راحت تحرق بشرود في نار المدفأة . بدت جميلة للغاية ووهج اللهب يدفء وجهها ، ويخفف من الظلال . يمكنه أن يتصورها في مثل هذا الوضع أثناء ارضاعها طفلتها . لقد خسر ذلك المشهد! خسر كل ما يمكنه أن يفعله أثناء أعياد الميلاد . شارلوت وسنواتها الأولى الهامة . لم يرها وهي تتعلم كيف تسير وتتكلم . ولم يشهد ظهور أول أسنانها ، وأولى كلماتها والتي يمكن أن تكون بابا ، لو كان موجوداً ، لكنها لم تعرف قط ما معنى أن يكون لها أب .

تملكته المرارة . وتساءل إن كان عليه أن يدعو ميغان لتجلس بجانبه . إنه لا يريد مواجهة عدائية بينهما ولكن هذا ما شعر به بالضبط . لقد فاته الكثير ، وهذا كله ذنبها . ووضع فنجان الحليب على المائدة .

فعلت ميغان الشيء نفسه وقالت : «أشعر بالنعاس الآن» .

لكنه أدرك أنها تكذب ، فقال : «أظنتي سأذهب إلى السرير ، أنا أيضاً» .

لم تكن هذه هي النهاية التي يريد ، ولكن بدا وكأن ليس لديه خيار .

- سأدعك لتتأكد من أن النار خامدة . تصبح على خير يا لويجي .

- تصبحين على خير ، يا ميغان .

افتراقاً بشكل متكلف رسمي ، فلا قبلة ، ولا لمسة ولا دلالة على أنهما يعينان أي شيء لبعضهما البعض . ومع ذلك كان مستعداً للمراهنة بكل ما يملك على أنها مشتاقه إليه ، بقدر اشتياقه إليها .

ربما كان عليه أن يعانقها . . . أن يقبلها قبلة خاطفة رقيقة على جبينها ، قبلة كافية لتعلم أنه يهتم لها . لكن الوقت فات الآن ، فقد غادرت الغرفة وتردد صدى خطواتها وهي تصعد السلم بسرعة . وعندما لحق بها في ما بعد ، كانت خطواته ثقيلة بطيئة .



## ٨ - غلطة كبرى

عندما استيقظت ميغان كان النهار صحواً متألقاً، وغرفة شارلوت خالية! مرّ أكثر من ثانية قبل أن تتذكر أن شارلوت أصبح لديها مربية تهتم بها، ولم يسرها هذا. كانت تستمتع باحتضان ابنتها الناعسة وإسباغ حنانها ورعايتها عليها في الصباح الباكر، شاعرة بدفء جسدها، مشعثة شعرها. إنها علاقة الأم بطفلتها، ولم تشأ أن تُسلب هذه المتعة.

وهذا أمر آخر كرهت لويجي لأجله!

اغتسلت وارتدت كنزة حمراء وينظفوناً أسود ثم نزلت إلى الطابق الأسفل لترى ابنتها، لكنها لم تجد سوى لويجي... في غرفة الفطور وأمامه طبق فارغ وفنجان قهوة.

- صباح الخير.

منحها ابتسامة أرسلت في كيانها تياراً كهربائياً. حدّرت نفسها بأن تنتبه فلا تقع في شركه لأنه خبير في إثارة أحاسيسها. لقد شعرت بذلك الليلة الماضية. أرادت أن تبقى معه في غرفة جلوسه أمام النار، وأدركت أنّ مشاعره تماثل مشاعرها.

لكن، وقبل أن تتطور علاقتهما، عليها أن تكون مقتنعة بأنه تغير، ليس فقط بالنسبة إلى ساعات العمل، بل عليه أن يجب ابته كما يتوجب على الأب أن يجب طفله. وكثرة الألعاب ليست الجواب، وهي لا تزال مصممة على أن تعيد معظمها إلى المتجر، وينطبق الأمر على هداياها منه فهو لن يتمكن من شرائها.

- ماذا يدور في ذهنك؟ هذا العبوس كفيف بإخافة أشرس الناس.  
كان في صوته تفكه كسول، وسرها أن يبدو بهذا الارتياح. اعتاد في مثل هذه الساعة من الصباح، أن يأكل قطعة من الخبز المحمص بينما يعقد ربطة عنقه... وبعدها يكون قد خرج. لعله يحاول أن يفتح الآن صفحة جديدة.

- أحمقاً؟ إذن أظنك أنت الشرس لأنك الوحيد في هذه الغرفة.

- وأنت فريسي؟

سرّته هذه الفكرة، بينما قالت: «لا أظن ذلك. هل ما زالت القهوة ساخنة؟»

- ستحضر لك إيمي الشاي.

فجلست بسرعة: «هذا حسن».

- ماذا تحبين أن تأكلي؟

وسار إلى الطاولة الجانبية حيث الطعام الساخن، وأخذ يرفع الأغذية عن الأطباق متابعاً: «سجق؟ بندورة؟ فطر؟ بيض؟»

كان يرتدي بنظفوناً رمادياً وكنزة من كشمير صفراء. لم تره من قبل يرتدي مثل هذا اللون الذي يناسب بشرته السمراء. رآته يتفرس في الطعام، فأدركت أنها تتأمله كما كان يتأملها سابقاً. فأشاحت بوجهها: «أريد خبزاً محمصاً ومرى فقط، وشكراً».

- أتريدين أن يُلقى بهذا الطعام الجيد في القمامة؟ هذا كل ما تريدينه حقاً؟

- أنت تعلم أنني لا أكل كثيراً في الصباح. أو لعلك لا تعلم، فلطالما كنت مشغولاً جداً بحيث لا تجلس وتشاركني الفطور.

تعمّدت أن يكون صوتها حاداً إذ أغاظها أنه ما زال قادراً على أن يثيرها من دون أن يحرك ساكناً، قال: «أظن أنّ هذا يحصل في معظم العائلات العاملة. ولكن هذا تغير فأنت لا تعملين الآن. كما أنني لست مضطراً لأن أخرج إلى العمل مبكراً. ما من سبب في العالم يمنعنا

من الجلوس وتناول الفطور معاً كل صباح».

وعاد إلى كرسيه ثم دفع صحون الزبدة والمرى نحوها. قالت:  
«المعذرة، لكنني لم أترك وظيفتي بعد. ما زلت في إجازة عيد الميلاد».

رفع حاجبيه: «نسيت أن أخبرك أنني اتصلت بشركتك وأخبرتكم أنك  
لن تعودى للعمل معهم».

اشتعلت عينها غضباً: «ماذا؟ ليس لك الحق في أن تفعل ذلك.  
ثم، كيف عرفت مكان عملي؟».

فقال من دون أن يحاول الاعتذار: «تفرغت للبحث عنه».

- أهي جيني من أخبرتك... أم جيك؟

سئلته عندما تراه.

هذا يهملها... كثيراً! أين ولاء صديقيها لها؟ لقد وقعت الآن في  
الشرك، سواء شاءت هذا أم أبت. لقد وافقت على البقاء بضعة أيام في  
ضيافته. إنما الآن فعليها أن تمضي حياتها مع لويجي لأنها فقدت دخلها  
... أو عليها أن تجد وظيفة أخرى ومكان آخر تعيش فيه! كلما طالت  
إقامتها هنا، كلما شعرت شارلوت بالاستقرار ما يجعل الانتقال صعباً  
عليها!

- أنا أكرهك يا لويجي كوستانزو.

فابتسم: «عندما تستشيطين غضباً تبدين رائعة الجمال».

في هذه اللحظة، دخلت الخادمة حاملة الشاي. ابتسمت الفتاة  
عندما سمعت لويجي يخبر ميغان أنها جميلة. وعندما خرجت من الغرفة  
فعلت ذلك بخفة غير عادية. فقال بالابتسامة المثيرة للغضب نفسها:  
«إنها معجبة بك».

- لا يهمني رأيها بي. ليس لك الحق في أن تفعل هذا. تريد أن  
تجعلني سجيبتك وأنا لست كذلك.

- أنت لست كذلك. أنت زوجتي. زوجتي الرائعة الجمال. اللون  
الأحمر يناسبك. عليك أن ترتديه غالباً فهو يبعث الانتعاش في وجهك.

قالت له بحدة وقد تصلب ظهرها: «لن ينفعك هذا المديح كله».

لا تريد أن يذكرها بالليلة الماضية حين كانا في ملابس النوم. لقد  
أعاد إليها هذا ذكريات الأسابيع الأولى من زواجهما.

سكنت لنفسها فنجاناً من الشاي وأخذت تقضم قطعة خبز ولأول  
مرة تمتمت لو يتركها ويذهب إلى عمله. لكنه لم يظهر أي رغبة في الذهاب  
بل أحدث لديها انطباعاً بأن البقاء هنا طوال النهار سيسرّه. قال  
يذكرها: «غداً ليلة رأس السنة».

فأومات. إنه مجرد يوم آخر بالنسبة إليها. يوم آخر في العذاب! ليس  
بالضبط ولكن هذا ما أرادت أن تصفه به. إنها لا تتصور العيش طوال  
حياتها بهذا الشكل. لو أن الأمور بينهما مختلفة... لو أنه يجبهها...  
يجبهها حقاً... لو أنه يحب شارلوت كما تحبها هي، ربما سيكون ثمة  
أمل.

- أفكر في إقامة حفل صغير هنا.

فقطبت جينها: «تحتفل؟».

لم تستطع أن تتصور لويجي يحتفل بعيد رأس السنة، خصوصاً في  
بيته. قد يُدعى إلى حفل ويُلقي الدعوة إذا لم تتداخل مع عمله. ولكن  
حفلة هنا؟ لا بد أن لديه دوافع خفية.

- لماذا؟

- لأن الوقت حان لبعث الحياة في هذا البيت. أنت علمتني هذا،  
يا ميغان حين أشرت إلى الضريح الفخم، ما جعلني أفكر. سأفتح  
أبوابي لكل من أعرفه.

- لكل من تعرفه؟ قلت إنه حفل صغير.

- ربما ليست حفلة صغيرة جداً.

وابتسم مظهرراً أسنانه البيضاء الجميلة لكنها ذُغرتها الآن بأسنان  
ذئب. وعادت تسأله: «من ستدعو إلى الحفلة؟».

- أشخاص عدة. إدوينا ووليام ينظمان كل شيء هنا. وسيرينا

تعتني بالدعوات...

ألقت ميغان بقطعة الخبز من يدها على المائدة بعنف وحملت فيه :  
«سيرينا! ولماذا سيرينا؟ ينبغي أن تكون هذه وظيفتي أنا».

وتمنت لو ألقت بالخبز في وجهه فهو يستحق ذلك. هذه سيرينا...  
تلك سيرينا. إنها المفضلة لديه. وما أدراك أن سكرتيرته لا تشاركه  
سريره أيضاً؟

- أنت محقة يا حبيبي، لكنك لا تعرفين أحداً هنا. يمكنك في السنة  
القادمة أن تكتبي قائمة المدعويين.

فقالت من بين أسنانها: «لا أضمن أن أكون هنا السنة القادمة».

لم تكن تنظر إليه، لكنها سمعت صوت كرميه على الأرض الخشبية  
وهو يهب واقفاً ويشدّها لتقف على قدميها ثم يمسك بها بيديه القويتين  
وهو يقول بلهجة تهديد: «بل ستكونين هنا. ألم أوضح لك ذلك؟ لن  
أدعك ترحلين مرة أخرى».

فقالت بحدة: «لن تستطيع أن تمنعني. لا أريدك أن تتباهى بسيرينا  
أمامي. إذا لم تتخلص منها فسأرحل أنا».

ضاعت عيناه: «أنت تعلمين أنني لا أستطيع ذلك. فهي تدبير شؤون  
عملي كلها تقريباً».

- هذا ليس سبباً كي تدبر حياتك الخاصة أيضاً، إلا إذا كانت  
جزءاً منها! فهل هي كذلك؟

ونظرت في عينيه مباشرة فلم ترمشاً: «ميغان، أنت المرأة الوحيدة في  
حياتي. عليك أن تصدقي هذا».

أرادت فعلاً أن تصدق، لكن الشكوك لم تفارقها. ما إن تبدأ في  
نعويد نفسها على الثقة به، حتى يحدث ما يهدد ذلك. قالت: «هذا ما  
تقوله دوماً، لكن ليس لدي ما يثبت ذلك».

فقطب وضاعت عيناه: «هذا لأنك لا تسمحين لي بالدخول إلى  
غرفتك».

- وذلك لسبب واحد، هو ما قلته منذ لحظات.

- سيرينا لا تشكل أي تهديد لك.

- لكنها تريد أن تكون كذلك.

- ربما. لكنها تعلم جيداً أنك عدت إلى حياتي وتشكلين جزءاً  
أساسياً منها، ولا مكان لها فيها. ليس هناك ما تحشينه.

- أحقاً؟

لكن الشك تملكها ولاحظت أنه لم يقل إن سيرينا تعلم أنه يجبها.  
هذه الكلمة مفقودة دوماً، وهي الكلمة الوحيدة التي تريد أن تسمعها.

«إنها تشكل جزءاً أساسياً من حياته» فما الذي يعنيه بهذا؟ يمكن لأي  
شخص أن يكون جزءاً من حياته حتى لعمي الخادمة ووليام وكيت.

- نعم، ما أقوله هو الحقيقة. سترينها غداً. قد تأتي غداً مبكرة  
لتراقب التفاصيل النهائية و...

- كلا!

هتافها العنيف الفجائي أجفله، وقابعت: «لا أريد أن تقوم تلك  
المرأة بما يفترض بي أن أفعله. سأراقب كافة التفاصيل... ولن  
أخيّب أملك».

أضافت الجملة الأخيرة متهكمة وهي ترى الشك يرتسم على  
ملاحظته.

فقال بابتسامة سريعة متكلفة: أنت غيور».

- لا تكن مغروراً. كل ما في الأمر هو أنني لا أريدك أن تخلط بين  
حياتك العملية وحياتك الخاصة. يمكن لسيرينا أن تفعل في المكتب ما  
تشاء ولكن ليس هنا.

هز كتفيه ورفع يديه عن كتفيها: «لا بأس، سأدع الأمر لك».

- كم ضيف تنوقع؟

- حوالي خمسين شخصاً.

كان هذا أكثر مما ظنت. لكن قاعة الرقص ستتسع لهم بسهولة.

عليها أن تذهب وترى إدوينا والترتيبات وإن كان ثمة ما يمكن أن تفعله .  
سألته: «هل ستذهب إلى العمل اليوم؟» .

لأول مرة، تريده أن يخلي لها الطريق .

- فكرت في أن أذهب لساعة أو اثنتين .

قالت شارلوت وهي تندفع إلى الغرفة وتلقي بنفسها بين ذراعي

أمها: «ماما ... ماما ... سنقيم حفلة» .

أمسكت ميغان بها تؤرجحها من حولها، ثم قبلتها قائلة: «إنها ليست  
للأطفال، يا حبيبي. ولكن إذا كنت بنتاً طيبة جداً، فقد ندعك أنا  
وأبوك تمكثين معنا لبعض الوقت. ما رأيك يا بابا؟» .

رفع لويجي شارلوت بين ذراعيه وهي أول حركة طبيعية يقوم بها نحو  
ابنته، وقال: «لساعة فقط» .

- هل سيكون هناك جيلي وأيس كريم؟

- ليست حفلة من هذا النوع، أيتها الأميرة .

فعبست الطفلة: «من أي نوع، إذن؟» .

- الناس يشربون ويأكلون ويتحدثون ويرقصون. وعند منتصف

الليل يغني الجميع أغان مثل ...

فقاطعته ميغان: «لن تفهم أياً من هذا. هناك الكثير من الكبار يا

حبيبي وسيقومون بأعمال كثيرة مملّة» .

- أما من أولاد؟

- أبداً .

- لا أظنني أريد أن أحضر إذن. هل ستقريين لي حكاية قبل النوم

يا ماما أم أنك ستكونين مشغولة؟

- لن أكون مشغولة عنك أبداً يا حبيبي .

- وأنت يا بابا. هل ستقرأ لي؟

كانت هذه هي المرة الأولى التي تطلب فيها هذا من لويجي .

وحبست ميغان أنفاسها تنتظر جوابه، داعية الله ألا يرفض رجاها .

- سأفعل إذا أخبرتني أي حكاية تريدن .

- نعم نعم. حكاية البنت الصغيرة التي انزلت من قوس قزح .

فقال: «سأقرأها لك. لكن عليك أن تساعدني لأنني لست ماهراً

في قراءة الحكايات للبنات الصغيرات» .

- ماما ماهرة في ذلك وستساعدك .

إبتسمت ميغان بضعف. فكرة جلوسهما، هي ولويجي، جنباً إلى

جنب ليقرا الحكاية لابتتهما، يجب أن تملأها بهجة لكن هذا لم يحصل،

لأنها تعلم أنه لن يضع روحه وقلبه في الحكاية. لن يقرأ الحكاية لأنه

يريد ذلك بل لأن شارلوت طلبت منه ذلك .

عندما غادر لويجي أخيراً البيت متوجهاً إلى المكتب، ذهبت ميغان

للبحث عن إدوينا التي أظهرت حماسة كبيرة وهي تقول: «لم نشهد أيّ

حفلة هنا منذ سنوات عدة، حتى قبل أن يستلم السيد لويجي المنزل

بوقت طويل. ما أجل أن نرى البيت يعود إلى الحياة مرة أخرى» .

وسرعان ما وجدت ميغان نفسها غارقة في تنظيم الحفلة، حتى أن

شارلوت ساعدتها فيما راحت كيت تراقبها بعناية. ويبدو أن إدوينا

بدأت بالتحضير للحفل منذ أيام ولم يبق سوى إعداد الطعام الطازج .

وصلت العصائر والمشروبات الغازية المختلفة التي تكفي العمر كله

حسبما رأت ميغان. لكنها لم تستطع أن تمنع الحماسة من أن تملكها .

كانت الفوضى تعم المكان أحياناً، لكن بتعاون البستاني ووليام،

ولإيمي وميغان وإدوينا، كان كل شيء قد أعد عندما عاد لويجي إلى

البيت. كما تبقى لديهم بعض الوقت ليجلسوا مع شارلوت وهي تتناول

الشاي. وعندما أدخلتها كيت إلى الحمام، أخذت ميغان تختار من بين

هدايا لويجي لعيد الميلاد، ثوباً للحفلة. بعدئذ، جلس الاثنان قرب

ابتتهما وأخذوا يقرآن لها بالمناوبة حتى غفت .

تأثرت ميغان بنبرة لويجي وهو يتلو الحكاية إذ توقعتهما أن تكون

مملة، لكنها جاءت معبرة بما يتماشى مع شخصية الحكاية. وعندما

علقت على الأمر، قال: «تصورت أن ثمة من يقرأ لي، وهذا هو الأسلوب الذي أريده».

تكلم بصوت أجش فذكرها بطفولته الخالية من الحب والعواطف ما جعلها تتساءل عما إذا كانت فظة معه.

لكن ما إن خرجا من غرفة شارلوت حتى أفسد كل شيء بقوله: «سيرينا ستأتي إلى هنا باكراً. إنها بحاجة إلى أن تظمن إلى...».

- سيرينا ليست بحاجة للإطمئنان إلى شيء. لقد اشتغلنا كلنا كالعييد اليوم، وإذا ظهر خطب ما فقد فات أوان إصلاحه، اتصل بها وأخبرها بذلك.

لم تشأ أن ترى تلك المرأة تختال في أعناء البيت وكأنها المسؤولة عنه. لن يحصل هذا ما دامت هي، ميغان، في هذا البيت!

ارتدت ميغان ملابسها بعناية غير عادية. كان لديها شعور قوي بأن سيرينا ستحاول أن تتفوق عليها وأنها ستحاول أن تصبح نجمة الحفلة. قد تكون مخطئة، لكنها لم تستطع أن تنسى كيف تحدثت إليها تلك المرأة.

سرّها أن لويجي أهداها هذه الأثواب الجميلة بمناسبة العيد. اختارت الأحمر منها بعد أن تذكرت ما قاله عن حبه لهذا اللون. كان الثوب أكثر جراءة من أي ثوب لبسته في الماضي، ولكن ما إن ارتدته وأخذت تسوّي ثناياها على صدرها ووركها حتى شعرت وكأنها استحوطت امرأة أخرى... امرأة أكثر أناقة ورشاقة، ومليئة بالثقة ومتحكمة بمشاعرها تماماً.

يمكنها أن تكون من تشاء، وهي تريد أن تكون زوجة لويجي بكل ما للكلمة من معنى فانتبهي يا سيرينا!

كان موعد حضور الضيوف هو الثامنة، وفي الثامنة إلا ربعاً كانت جاهزة. طرقت لويجي بابها ثم دخلت، فحسب مظهره أنفاسها. كانت سترة السهرة الثبينة اللون والسروال الأسود يبرزان روعة قامته وسمرة وجهه اللاتيني الملامح، لم تره قط من قبل بهذه الوسامة.

- ميغان. تبدين رائعة.

ليس بقدر نصف روعتك، كما خطر لها وهي تبتلع ريقها بصعوبة. لقد جف فمها تماماً. إنها بحاجة إلى شراب... إلى شراب منعش.

كان لويجي ينظر إليها وكأنه لم يرها من قبل، مقيماً كل تفصيل من ثيابها، مبتدئاً بالحذاء الفضي العالي الكعبين وأظافر قدميها المصبوغة باللون القرمزي، وتنورتها الطويلة الواسعة التي تدور حول كاحليها لضيق على الوركين، منتهياً عند صدرها.

شعرت وكأنه يلمسها، وأينما وقع نظره شعرت بحرق. كان بإمكانه أن يجتاز بسهولة المسافة التي تفصل بينهما ليأخذها بين ذراعيه.

لكنه لم يتحرك، فقد تسمر في مكانه مذهولاً. وتساءلت إن كان قد رأى هذا الثوب من قبل، وإن كان قد اختاره بنفسه أم أن البائعة حزمت له بعض الأثواب بمقاسها من دون أن يراها. ربما هذا ما حدث، لكنها لم تهتم بذلك في الوقت الحالي.

كان تأثير الثوب فيهما عظيماً. لم تشأ أن يعلم أي شخص، ما عدا لويجي، مدى الإثارة التي تتملكها. إنها تريد أن يعلم ولا تريد أن يشعر برغبة في أي امرأة، هذا الليلة، ما عداها هي.

كان الثوب مفتوحاً عند ظهره، وسيعرف ذلك حين يرقصان معاً، عندما تحتضنها يدها، وتسمع خفقات قلبه القوية على قلبها. عندما يعلنان للعالم أجمع أنهما زوج وزوجة لا يمكن أن يفرقهما أحد. ولكن، أتراها تستبقي الأمور؟ هل هي مستعدة لهذا؟ وهل لويجي مستعد؟ أم أنها تفعل هذا فقط لكي تغيب سيرينا؟

كان الثوب مطرزاً بالخرز، ولا بد أنه كلفه مبلغاً كبيراً... لكنها عشقته.

- من الأفضل أن ننزل الآن إلى القاعة قبل أن أتهور فلا ننزل أبداً. لم تستطع أن تتكلم بل أومات برأسها ثم ابتسمت بضعف. عندما سارت نحوه أخذ قلبها يخفق وقالت هامسة: «شكراً على هذا الثوب يا

لويجي».

- وشكراً على ارتدائك له. تبدين مثيرة فيه. ستصعقين الكل الليلة، وسأمتلئ بالفخر وأنا أقدمك بصفتك زوجتي.

وتأبط ذراعها ثم سارا معاً نحو السلم.

شعرت ميغان بالزهو وبأنها أطول قامة. وعندما وقعت عيناها على سيرينا، شعرت بنفسها تزداد طولاً.

أو على الأقل افترضت أن هذه المرأة هي سيرينا، ومن غيرها سيفق منتظراً عند آخر السلم؟ إنها أول الضيوف الواصلين، وقد بدت طويلة رشيقه، محنكة، أنيقة، ذات شعر مذهل. تسمرت عيناها على لويجي وحده، فاستطاعت ميغان أن تتفحصها، ولم يعجبها ما رأت. إنها رائعة الجمال، ولديها اتزان لم تملكه ميغان قط حتى ارتدت هذا الثوب الأحمر! كان ثوباً سحرياً بحسب تعبير شارلوت، فقد حولها إلى امرأة أخرى.

كانت عينا سيرينا خضراوين أشبه بعيني قطة، كما كان ثوبها أخضر هو أيضاً، أخضر داكن، محكم التفصيل ليبرز خصرها النحيل. إنه ثوب مصنوع بمهارة بالغة ليبرز شكل صدر سيرينا المرتفع إلى حد الكمال.

التفتت ميغان نحو لويجي لترى إن كان مستمراً مذهولاً لهذا المظهر كما تتمنى سيرينا فسرها أن تراه ينظر إليها.

همس بصوت خافت: «هذه سيرينا».

فأجابت بصوت أبح: «هذا ما ختمته».

- لا داعي للقلق.

فقالت وهي تبتسم في وجهه بحب: «أنا مسرورة لهذا».

عندما وصلا إلى سكرتيرته، رأت ميغان البرودة التي نضحت بها عيناها.

- ميغان، أريدك أن تتعرفي إلى سيرينا التي لولاها لما ازدهر عملي. سيرينا، زوجتي.

- المرأة التي هجرتك وخرجت من حياتك؟

كان هذا الجواب جريئاً وقحاً بحسب رأي ميغان التي قالت ببشاشة: «أنا ذاتها... لكنني هنا الآن... ونهائياً».

ومدّت لها يدها مصافحة فنظرت المرأة إليها بثبات ثوانٍ عدة وكأنها تحاول أن تقر ما يدور في خلدتها متسائلة عما إذا كانت تقول الحقيقة.

في الحقيقة، لم تكن ميغان واثقة من ذلك، فما زال لديهما الكثير للتعلم عليه. وأخذت تتساءل عما قاله لها لويجي عن عودة زوجته.

لكن، ومن نظرات سيرينا المتفحصه، شعرت أنه لم يكن صادقاً تماماً.

على أي حال، لويجي الليلة لها ولن تحصل سيرينا على أي فرصة. لم تكن ميغان ذات طبيعة متملكة، ولكن على المرأة أن تخوض معاركها.

صافحتها سيرينا رغماً عنها، بلمسة باردة فاترة غير شخصية ثم سحبت يدها وهي تقول: «أخبرني لويجي أنك أشرفت شخصياً على الترتيبات هنا».

ونظرت من حولها وكأنها ترجو أن تجد خطأ ما، فيما أجابت ميغان بجموية زائفة: «هذا طبيعي. تعالي وانظري إلى قاعة الرقص. لا بد أنك ستحبينها».

قد لا تكون القاعة بحسب ذوق سيرينا لكنها لن تمنح هذه المرأة فرصة التعبير عن رأيها، وتابعت تقول: «كما أن الطعام ممتاز. لويجي لديه كتر هو إدوينا. وقد جهزنا مقصفاً لا يمكن لأحد أن يجد فيه عيباً».

ولمست مرفق سيرينا بخفة توجهها إلى قاعة الرقص ثم نظرت من فوق كتفها إلى لويجي فرآته يتأملها بإعجاب ودهشة.

بعدئذ، بدأ الضيوف بالتوافد، يملأهم الفضول لرؤية زوجة لويجي... كانت محط الاهتمام ما ملأ سيرينا ضيقاً. ورأتها ميغان تحاول أن تبدو مهذبة ودوداً، لكنها ما انفكت تنظر نحوها ونحو لويجي، فقالت لزوجها بنعومة: «أظن أن سيرينا تشعر بالوحدة».

أجاب وهو ينظر إلى سكرتيرته: «كلام فارغ. فهي تعرف الكل هنا».

وخطر لميغان أنه أعمى. لعله كان صادقاً عندما قال إنه ليس على علاقة بها ولكن ألا يمكنه أن يرى أن المرأة تحبه؟ ألا يشعر الرجال بهذا؟ ألا ينتهزون الفرصة؟ ليست واثقة من أن علاقتهما تقتصر على العمل كما يريدان أن تعتقد.

كان لويجي قد استأجر فرقة موسيقية صغيرة؛ ومع مرور الوقت وجدت ميغان نفسها وقد راقصت عدداً من أصدقاء لويجي وزملائه في الدراسة. وراح الكل يسألها عن المصالحة مع زوجها، فحاولت أن تتلمص منهم.

كان المقصّف ناجحاً جداً، رغم أن سيرينا أظهرت الاشمئزاز. كانت ميغان تتحدث إلى أحد شركاء لويجي في العمل، وهي تراقب بطرف خفي ما يدور من حولها، فرأت سيرينا تندفع نحو زوجها وتمسك بذراعه. بدا واضحاً أن المرأة كانت تنتظر طوال السهرة الفرصة المواتية، إذ حرصت ميغان على ألاّ تدعها يجتمعان مع بعضهما البعض، شاعرة بالشامة لعملها هذا.

أخذت تراقبهما عن كثب، وعندما رأته يقود سيرينا إلى خارج الغرفة، ويده على ظهرها بخفة، شعرت بقلبيها يستحيل إلى كتلة من الجليد.

أرادت ميغان أن تتبعهما لكن مرافقها الحالي كان في منتصف ما ظنه قصة مسلّية، ولم تستطع أن تتركه. أخذت تراقب الباب لتشهد عودتهما، وراحت الدقائق تمرّ طويلة. ما الذي يفعلانه بحق جهنم؟ وعندما لم تعد تستطيع الاحتمال، رأتهما يعودان وقد بدت سيرينا مختالة متألفة، فيما راحت عينا لويجي تبحثان عن عينيها.

وعندما رآها توجه مباشرة إليها، لكن ميغان لم تشأ أن تتحدث إليه. لم تشأ أن تشم عطر سيرينا على ثيابه أو ترى شيئاً من زينة وجهها

على ياقته، أو أحمر شفاهها على خده. فاندفعت إلى غرفة الاستراحة في الطابق السفلي.

ويا لها من غلطة كبرى!  
لقد تبعتها سيرينا.





## ٩ - بين الحقيقة والخيال

كانت ميغان تتفقد زينتها أمام المرأة عندما دخلت سيرينا وعلى شفيتها ابتسامة واثقة وفي عينيها لمعان النصر. بدت أشبه بقطعة سرقت القشدة.

انجذبت إلى ميغان ولكن قبل أن تتكلم بادرتها هذه قائلة: «إذا كنت تظنين أن خمس دقائق من التلامس مع زوجي تمنحك أي حق فأنت مخطئة تماماً».

وما إن نطقت بهذه الكلمات حتى تملكها الندم. ما الذي حدث لاتزانها؟ ما كان لها أن تجعل سيرينا ترى أنها تغار. ابتسمت سيرينا من دون أن يبدو عليها أي انزعاج وقالت: «خمس دقائق من التلامس؟ أظن أن ذوقى أرفع من ذلك قليلاً. وكذلك لويجي، رغم أنك قد لا تعرفينه جيداً كما تظنين. أراهن على أنه لم يخبرك بأننا ما زلنا على علاقة. لا مانع عندي من أن أكون عشيقته فهذا الأمر أكثر إثارة، ألا تظنين هذا؟».

شعرت ميغان بتشنج في قلبها بلغ حد الألم. وردت ببرودة: «مهما كانت وعود لويجي لك، تبقى الحقيقة أنه سيعود إلي كل مساء. إنني المرأة التي يجب وأنا من أنجبت له ابنته، ولن أتركه أبداً!».

كانت قد ترددت عندما نطقت بكلمة يجب. فلويجي لا يجبها... إنه لا يجب أحداً... ولا حتى سيرينا. أم لعله يجبها؟ هل هذه الفتاة الفاتنة هي سبب عدم تصريحه عن حبه لها؟ نظرت في أعماق عيني سيرينا ورات الثقة البالغة. هذه المرأة بالغة الثقة في نفسها، واثقة من

حب لويجي لها! لكن ميغان رفضت الاستسلام لمخاوفها، وواجهت سيرينا مرفوعة الرأس، من دون أن يبدو على وجهها أي شك في أنها حبيبة لويجي.

قالت سيرينا بصوت منخفض: «أظنك تقللين من شأن لويجي. فهو لا يجب أن يعامل بجفاء ولا يجب أن يعيقه طفل. إنه لا يجب القيود. كان سعيداً أثناء سنوات غيابك. كنا سعيدين. لقد تغير منذ عودتك، فأنت غبء عليه يا ميغان، وأظن أن عليك أن تعلمي ذلك».

أغمضت ميغان عينيها لحظة. لويجي ما يزال على علاقة بسيرينا رغم إنكاره. إنه كاذب مخادع... ومع ذلك فهي ما زالت تحبه. ولكن هل حبها هذا يكفي لتستمر في العيش معه؟ هذا هو السؤال الذي عليها أن تطرحه على نفسها.

قالت سيرينا بصوت حلو كالسكر: «سأتركك الآن لكي تستوعي هذه الحقائق التي قد تجعلك تفكرين مرتين قبل العيش مع لويجي في عش واحد، لأنك تضيعين وقتك. صدقيني... حياتك معه لن تدوم أبداً».

وقفت ميغان لحظات طويلة بعد خروج الفتاة من الغرفة. كان لويجي قد أقنعها تماماً بأن لا علاقة غرامية بينه وبين سيرينا، وها هي سيرينا تسخر من كل كلمة قالها. إنه كذاب مخادع، وهي لا تدري كيف يمكنها أن تكمل الحفلة من دون أن تقول له رأيا.

\*\*\*

أخذ لويجي يبحث عن ميغان في كل مكان، وما إن وقع نظره عليها حتى اختفت. لقد تضايق عندما أخذته سيرينا جانباً للحديث عن أمر مستعجل يتعلّق بالعمل. قالت إنه أمر لا يمكن تأجيله، وهذا هراء. فحياته العائلية أصبح لها الأولوية هذه الأيام. لكن، لسوء الحظ، يبدو أن سيرينا لا تفهم هذا.

افترض أن الذنب في ذلك ذنبه لأنه من اعتاد أن يؤخرها في العمل.

ولهذا، كان يكافئها بدعوتها على العشاء من وقت لآخر. حتى أنه كان يدعوها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع خارج المدينة بعد أسبوع عمل مرهق لكنه تمنى أن تفهم أن الأمور اختلفت الآن بعد عودة ميغان وابنته.

لقد اتخذت حياته اتجاهاً جديداً... اتجاهاً لم يكن يعرفه لكنه أحبه كثيراً. أين ميغان؟ هذه سيرينا يبدو عليها الرضا البالغ عن نفسها. إنها تحب أن تكون محور أعماله، وقد بان عليها النكد حين أصرت ميغان على أن تنظم الأمور لهذه الليلة. لكنها بدت مسرورة بميغان عند لقائهما ما جعله يطمئن.

ورأى ميغان تتحدث إلى زوجة جار لهم في الناحية الأخرى من القاعة فأخذ يشق طريقه نحوها. بدت مثيرة للغاية إلى حد لم يستطع معه أن يحول عينيه عنها. لقد اهتز كيانه منذ أن رآها في ذلك الثوب الأحمر المثير، ولم يتبدد هذا الشعور. ولو لم تكن هذه الحفلة حفلتها، لتسلا من القاعة لبعض الوقت. لكنهما لا يستطيعان ذلك، وعليه أن يصبر ويتنظر رغم الألم الذي يشعر به. لا يتذكر مرة كانت رغبته فيها كحالها الآن. والأمر الحسن أنها هي أيضاً ترغب فيه، وقد رأى ذلك في عينيها.

وصل إليها أخيراً، وبابتسامة واعتذار، جرّها بعيداً عن مرافقيها: «ميغان، لقد ابتداء الرقص مرة أخرى. لا أستطيع الصبر حتى انتهاء الحفلة».

لم يلحظ أن نظراتها خلت من الحب وأن تجاوبها برد نوعاً ما إلى أن انتهى الرقص، وابتعدت عنه، فأدرك أن شيئاً ما تغير. سألتها مقطباً: «ميغان؟ ماذا حدث؟».

- لا شيء.

لكن جوابها كان سريعاً جداً ولم تستطع أن تواجه عينيه. فعاد يسألها: «هل تشعرين بوعكة صحية؟».

- أنا بخير.

تكلمت بسرعة... بأسرع مما ينبغي. أتراها ندمت على كشف رغبتها به؟ أمكن أن يكون هذا هو السبب؟ إذا صح هذا، فلا بأس لأنه يعلم أنه سيتمكن من إقناعها بسهولة بأن حاجتها إليه هي بقدر حاجته إليها عندما ينفردان ببعضهما البعض.

ظنّ أنه يقوم بالتصرف الصائب حين تركها على حريتها لتأتي إليه حين نشاء. لكن الرجل لا يستطيع أن يحتمل كثيراً وامتناعها عنه يقوده إلى الجنون.

تعالت الموسيقى مرة أخرى، موسيقى بطيئة شاعرية. وقبل أن تبتعد عنه أحاطها بذراعيه فلم يعد أمامها خيار آخر سوى الرقص. شعر بمخفقات قلبها ضعيفة غير ثابتة، وأخذ يتشمم رائحتها الحلوة. لكن مجرد إمساكه بها أثار حواسه إلى حد جعله يجاهد كي يمنع نفسه من حملها والصعود بها إلى الطابق العلوي: «أنت أجمل امرأة في القاعة، أتعرفين هذا؟ وهذا يجعلني أسعد الرجال حظاً في العالم».

ارتسم على ملامحها شيء لم يفهمه تماماً. لكن يبدو أن مديحه لم يبهجها، ولم يستطع فهم السبب. سألتها: «ميغان. هل أنت واثقة من أن كل شيء على ما يرام؟».

فأجابت: «نعم».

لكنه شعر بأنها تكذب، وقال: «آسف لأنني لم أمض معك وقتاً كافياً كما كنت أريد. لكن ثمة كثيرين هناك يريدون أن يتحدثوا إليّ وإليك طبعاً، فأنت نجمة الحفلة. الكل امتدح جمالك، وأبدوا سرورهم لأننا عدنا للعيش معاً».

فتمتمت: «ليس لديهم فكرة».

شعر بالمرارة تقطر من لسانها فجرّها على الفور إلى غرفة أخرى منفردة ثم سألتها بحدة وهو يرفع ذقنها بأصابعه ليستطيع النظر في عينيها المتزعجتين: «ما الذي جرى يا ميغان؟».

كررت بعناد: «لا شيء». وما كان لنا أن نتبعد عن ضيوفنا بهذا

الشكل، فسيساءلون عما يحدث».

فأجاب بصوت مرتفع: «وأنا أتساءل عما حدث. لا يُعقل أن تتغيري فجأة ومن دون سبب».

- هذه ميزة في النساء.

- كلام فارغ. ثمة من كدرك. ويبدو أنه أنا، فهل هذا صحيح؟

حوّلت ميغان عينيها عنه، فأمسك بذقنها بعنف أدرك معه أنه ألمها لكنها لم تجفل وكررت: «قلت أنظري إلي».

وببطء، نظرت إليه. وما رآه جعل قلبه يهوي. عدا، كراهية، إتهام، كل ما كان يرجو ألا يراه مرة أخرى: «لا بأس. ماذا يجري؟».

- هل أنت بحاجة لأن تسأل؟

كانت عيناها ملييتين بالألم فتبني لو يعرف السبب. وقال: «لو كنت أعلم لما سألتك، أليس كذلك؟».

وفجأة، خطرت في ذهنه فكرة: «إنها سيرينا، أليس كذلك؟».

وضحك بارتياح: «هل رأيتمنا ونحن نغادر قاعة الرقص؟ يا حبيبتي ميغان، الأمر مجرد حديث عن العمل. سيرينا تعيش وتتفلسف العمل كما كنت أنا. حاولت أن أخبرها بأن الأمر غير مهم، ويمكنه أن ينتظر إلى حين عودتنا إلى المكتب، لكنها لم تستوعب».

فقلت غير مصدقة: «هل هذا كل شيء؟».

- أقسم لك.

- ما دمت تقول ذلك، فهو صحيح.

لكن بدا واضحاً أنها لم تصدقه، فقال: «تبدأ يا ميغان. ما الذي حصل يمكنكني أن أقسم أنك كنت مستعدة لي بقدر ما أنا مستعد لك.

والآن تغير كل هذا؟».

- أنت لا تستطيع التكهن بالسبب. على أي حال، سأصرف كما تريدني أن أفعل بالضبط حتى يغادر ضيوفنا البيت.

بعدئذ، تطرده من غرفتها! لن يفهمها أبداً ولو بعد مليون عام! ليس

عليها أن تخاف من سيرينا، ولكن كيف يقنعها بذلك؟.

وفجأة، انفتح الباب وأطل منه رأس المرأة مسببة المشاكل كلها: «آه، أنتما هنا؟».

وعندما لمحت نظرات ميغان العنيفة وتعاسة لويجي، اتسعت ابتسامتها: «كنت أتساءل أين ذهبتما يا عصفوري الحب؟ منتصف الليل يكاد يجل ونريد أن نحتفل. هل أنت قادم يا لويجي؟».

نظر لويجي إلى ميغان فرأى شرر الغيرة ينطلق من عينيها، فقال لسيرينا: «ستخرج بعد دقيقة».

شعر، من ناحية، بالسرور لأن ميغان تغار عليه، لكنه من ناحية أخرى، علم أن استعادتها لن تكون سهلة.

عليهما أن يتفاهما ويتصارحا. ربما مع بداية السنة الجديدة يمكنهما أن يقوما بذلك. سنة جديدة... علاقة جديدة. لا يمكنه أن يستمر على هذا الشكل. بعد رحيل الضيوف سيصر على أن يفتحا قلبيهما. أما الآن فسيقبل بأن تلعب دوراً ليس إلا.

عندما أغلقت سيرينا الباب خلفها، أمسك بيدي ميغان وتلاقت أعينهما. بدت له شقية، تعيسة فودّ لو يعانقها ويعدها بأن كل شيء سيكون على ما يرام. لكن عندما انحنى ليعانقها ابتعدت عنه وقالت فجأة: «دع الحفلة تنتهي أولاً».

كانت هي حياة وروح الحفلة لما تبقى من الأمسية. كان صوتها هو الأعلى في الغناء، وضحكها هو الأطول. كانت سعيدة للغاية، أو هكذا بدت. ولكن لا أحد يعرف الحقيقة سواه. وسيرينا طبعاً، لكنه لا يعلم هذا.

لم تعرف ميغان كيف استطاعت أن تمثل وأن تتصرف وكان شيئاً لم يحدث. كان الأمر صعباً وقلبها محطم وهي تعلم أنه لن يعود كما كان أبداً. لويجي كذاب كبير. أترأه يظن أنها لا تعرف نواياه؟ كانت تعلم حتى قبل أن تخبرها سيرينا. ولكن أن يثبت هذا بكل هذا الوضوح

وانعدام الذوق فهذا ما جمد الدم في عروقها. ولم تستطع أن تخفي ألمها عن لويجي رغم رغبتها في ذلك. في الواقع، لم تستطع أن تتذكر شيئاً عن الجزء الأخير من الحفلة، ما عدا ابتسامة سيرينا المشرقة كلما التفت أعينهما.

لقد صافحت الضيوف ونطقت بالمجاملات المعتادة. لكن عندما رحل الجميع، وأصبحت هي ولويجي وحدهما، نظرت إليه والكراهية في عينيها: «يا لها من حفلة فاشلة، وأنا مسرورة لانتهائها. إنني ذاهبة إلى النوم، تصبح على خير».

لكن لويجي لم يدعها تذهب: «علينا أن نتفاهم الآن!».

- لن ينفع هذا بشيء.

هل هو أعمى أم غبي أم الاثنان معاً؟ لقد شعرت اليوم بسعادة لم تعرفها منذ وقت طويل، إلى أن غرزت سيرينا سكينها في قلبها. وهذا الجرح ما زال يؤلمها حتى الآن مثبتاً أن زوجها كذاب بارع. لماذا لا يعترف لها هي بحبه إذن؟

- سأحزم أمتعتي في الصباح الباكر.

بدا لويجي وكأنه استحال إلى حجر. لم يتكلم بل بقي واقفاً يتحدث إليها وفي عينيه عدم تصديق كلي. أردفت: «لقد حاولنا واحتفلنا بعيد الميلاد رأس السنة، وأشكرك على ذلك. والآن، حان الوقت لكي أعود إلى حياتي القديمة، حيث كنت سعيدة وقانعة. ويمكنك أن تستمر في أي علاقة غرامية تعجبك».

عندما أنتهت من كلامها، انتبهت إلى أنها تتنفس بصعوبة. لم تعد تستطيع النظر إلى لويجي من دون أن ترى سيرينا إلى جانبه، سيرينا الباسمة الراضية عن نفسها والواثقة من أن لويجي يفضلها على زوجته. ظهر أمام عينيها ما يشبه السحابة الحمراء... ثورة غضب شابهت لون ثوبها الأحمر. واستحال الاحمرار إلى سواد... ثم لا شيء.

لم تدرك ميغان أن لويجي تلقاها بين ذراعيه عندما سقطت مغشى

عليها. وعندما عادت إلى وعيها. كان لويجي يحملها بين ذراعيه القويتين صاعداً بها السلم. تملكها الحذر والخوف، وأخذت تقاومه، غير قادرة على فهم ما يجري، وكيف وصلت إلى هنا؟

قال محذراً: «اجدي مكانك! لقد أغمى عليك. سأأخذك إلى غرفتك. عليك أن تتمددي على السرير».

أغمضت عينيها. لم تشأ أن ترى الحب والحنان في وجهه. لم تر هذه العواطف قط على وجهه من قبل، فلماذا تظهر الآن؟ هل الضوء يخدعها؟ سألت: «أغمى علي؟ لم يحدث لي هذا قط. إذا كانت خدعة لكي...».

فقاطعها: «لا، أبداً».

اختفت الرقة من صوته ما جعلها تدرك أنها كانت تتخيل ذلك من دون شك. وتابع يقول: «أظن أن السهرة أتعبتكم. أمضيت النهار تعملين، ثم...».

توقف ميغان عن الإصغاء بعد أن تذكرت السبب الحقيقي لتكدرها، وعادت تقاوم بعنف أشد. فقال لها محذراً: «تبدأ. إجمدي مكانك. هل تريد أن نُقتل؟».

وصلا إلى قمة السلم لكنه لم يضعها على الأرض بالرغم من مقاومتها المستمرة له. بل دفع الباب ففتحته، ثم سار بها إلى سريرها ومددها عليه.

قفزت ميغان من السرير على الفور، لكنها أصيبت بدوار أرغمها على الجلوس. وضعت يدها على جبهتها فأحضر لها لويجي كأس ماء، أمراً: «أرشفه شيئاً فشيئاً حتى تشعرني بتحسن».

أطاعته، فمن الواضح أنها أرهقت نفسها بالعمل حتى فقدت وعيها. ما هي بحاجة إليه الآن هو تنظيم أمورها بهدوء. ما زالت تنوي الرحيل، لكن عليها أن تفعل ذلك يوماً ما، وبهدوء عندما يكون لويجي في العمل. لن تعود إلى البيت الذي كانت تعيش فيه مع جيني، بل

ستبحث عن بيت في مكان آخر لا يصل إليه زوجها!

سألها: «هل تشعرين بتحسن الآن؟».

بدا، والحق يقال، شديد الاهتمام. كان من السهل أن تصدق الآن أنها المرأة الوحيدة في حياته، لو لم تستمر تينك العينان الخضراوان في الترائي لها.

- سأكون بخير.

وكان هذا يعني أنها تطلب منه الرحيل، لكنه لم يمثل للإشارة: «دعيني أساعدك على خلع ثيابك والنوم في سريرك».

كان في صوته من الاهتمام والحنان ما أوشك أن يحطمها، لكنها واثقة من أن هذا مجرد تمثيل. إنه يريد الأفضل من العالمين: زوجة وابنة، وعشيقة. جلست منتصبية، ثم وضعت كأس الماء على الطاولة بعنف، وهي تصيح به: «لن أدعك تساعدني حتى لو كنت آخر رجل على الأرض. أخرج! أخرج الآن!».

كانت خططها تقضي بإظهار شعور زائف بالاطمئنان لتزيل شكوكه ثم تخنفي بهدوء. لكن كيف يمكنها أن تعيش دقيقة واحدة بعد الآن مع رجل يعشق امرأة أخرى؟

- إذاً كان الأمر يتعلق بسيرينا...

- يمكنك أن تراهن على أنها سيرينا. إنها تريدك بقدر ما تريدها.

- ولكن...

انفجرت تقول وهي تقفز من السرير وتسرع إلى الباب تفتحه: «ولكن لا شيء».

لم يتحرك، بل تابعها بنظراته، ولاحظت هي ذلك فخطر لها أنه ممثل ماهر. قال: «سيرينا لا تعني لي شيئاً».

- هذا ما تقوله دوماً.

- إنها الحقيقة. ألا تصدقيني؟

- كلا.

- لماذا؟ ليس لديك برهان على أننا على علاقة. كل هذا موجود في

مخك الصغير المشكك.

وتقدم نحوها خطوة فجمدت في مكانها: «ربما لديّ برهان، لكن هذا لا يعني أنني سأخبرك به».

فقال عابساً: «وكيف يكون هناك برهان على أمر...».

- لم يحدث بينكما؟ دعني من أقوالك المكررة هذه وأخرج من هنا بحق جهنم.

توترت شفثاه وتملكها الإرتياح عندما سار نحو الباب. لكن عندما وصل إليه وقف والثفت إليها لا يفصل بين عينيه وعينيها سوى إنشآت.

تسارعت أنفاس ميغان، فهو ما زال يذبيها بنظراته. ما زال يدفعها بجنون إلى حالة من الاستسلام. يبدو أن مصيرها هو أن تحبه إلى آخر

حياتها ما زاد في غضبها. قال عابساً وعيناه كالفولاذ: «لا أظن أن ثمة فائدة من أن أقول المزيد هذه الليلة، خصوصاً ومزاجك بهذا الشكل.

عقلك الصغير النشط يجمع اثنين زائد اثنين لتساوي خمسة لكنني سأثبت لك أنك مخطئة. غداً سأحضر سيرينا إلى هنا لتخبرك بنفسها أنك مخطئة».

ولم ينتظر جوابها بل اندفع خارجاً فصفقت الباب خلفه.

ما فائدة حضور سيرينا إلى هنا؟ يمكنها أن تكذب، لن تدع لويجي يعرف الحديث الذي دار بينها وبين زوجته. ربما عليها أن تحزم أمتعتها

الآن وتهرب قبل أن يستيقظ في الصباح. لكن، لسوء الحظ، إنها ليلة رأس السنة ما يجعل العثور على مسكن صعباً للغاية. وعادت تلقي

بنفسها في الفراش تفرغ إحباطها بلكم الوسادة. تباً للويجي! تباً لسيرينا! وبقيت تشتمهما حتى غلبها النوم.

استيقظت بعد ساعتين وهي ترتجف. خلعت ثوبها بعنف، غير عابئة إذا ما تمزق، ثم لبست قميص نومها وعادت تتكؤر تحت الغطاء، لكن

النوم جافاها.

كان ضوء النهار قد بدأ يتسلل عندما غلبها النوم أخيراً وحلمت بأن سيرينا ذات العينين الخضراوين، تطير فوقها، وعيناها تلمعان بالحبث . وكانت هي تتوسل إلى سيرينا بأن تدعها تشاركها لويجي، لكن سيرينا أطلقت ضحكة ساخرة ترددت في أذني ميغان وهي تستيقظ من النوم . تعالت ضحكة شارلوت من غرفتها ففتحت الباب الموصل بينهما . قالت كيت تعتذر: «آسفة لأننا أيقظناك» .

فقالت ميغان وابنتها تلقي بنفسها بين ذراعيها: «لا بأس» .

احتضنت ابنتها وهي تطرد من ذهنها الذكريات السيئة وتسال: «لماذا كنت تضحكين يا حبيبي؟» .

- دغدغتنى كيت . هل كانت الحفلة جيدة يا ماما؟ أردت أن أذهب لكن كيت قالت إنها للكبار فقط .

- هذا صحيح . في الواقع، يا عزيزتي، كانت مملّة نوعاً ما . فانا لا أعرف أحداً فيها ما عدا بابا وسيرينا .

- ومن هي سيرينا؟

- إنها تعمل عند بابا .

- هل هي جميلة؟

- جميلة جداً .

- هذا حسن، لأن بابا يحب الأشياء الجميلة . لقد أخبرني بهذا . أخبرني أنني جميلة، وأنه يحبك لأنك جميلة جداً أيضاً .

سرى في جسم ميغان تيار كهربائي جعله يتصلّب . هل قال لويجي هذا؟ ولكن هذا الشعور سرعان ما تلاشى وهي تفكر في أن تصرّيح لويجي هذا ما هو إلا تعليق عابر، كلام يرضي طفلة متلهفة إلى العطف .

سألته شارلوت بلهفة: «هل ستناولين الفطور معنا؟» .

كانت الطفلة قد اعتادت الآن على تناول وجباتها في غرفة الأطفال المؤثثة حديثاً .

- طبعاً يا حبيبي .

أرادت أن تتجنب لويجي بأي ثمن . وتساءلت إن كان لا يزال مصراً على إحضار سيرينا . لعله أدرك أن هذا لن ينفع، أو لعله لم يفعل . فعندما يقرر لويجي شيئاً، لا يجيد عنه . إنه عنيد وسيسعى إلى إثبات أن سيرينا ليس لها دور في حياته الخاصة لكنه سيعلّمها أولاً ما عليها أن تقول . لهذا السبب، سيحضرها بنفسه ولن يتصل بها ليأمرها بأن تحضر . عليهما أن يعملوا على توحيد خطتهما .

كانت هي وكيت تضحكان على شيء قالت شارلوت عندما دخل لويجي إلى غرفة الأطفال . وعندما رآها عبس: «لماذا أنت هنا؟» .

- دعني شارلوت .

- وجلسي في انتظارك في غرفة الطعام غير مهم؟

لاحظت ميغان أن كيت رفعت حاجبيها، فقالت بجرارة متعمدة: «آسفة، كان عليّ أن أخبرك . لماذا لا تجلس معنا؟ سأطلب من إيمي أن ترسل . . .» .

- لقد أكلت . أتمنى أن تجدي وقتاً لتناول القهوة معي .

استدار على عقبه فجأة وخرج، فقالت كيت: «عليك أن تذهبي الآن ولا تدعيه ينتظر أكثر» .

ورغم أن كيت حاولت أن تتظاهر باللامبالاة، إلا أن ميغان شعرت بأنها تحسّ بالفضول . مضت عشر دقائق قبل أن تنزل . عشر دقائق زادت من غضبه فسألها بحشونة: «هل تتعمدين تجنبي؟» .

أجابت بهدوء: «نعم . في الواقع، لم يعجبني حديثنا الليلة الماضية، ولا أريد أن أتابعه» .

فقال متهكماً: «لم يعجبك؟ وكيف تظنين كان شعوري عندما اتهمتي بشيء أنا منه بريء؟» .

فردت بجدّة: «هذا ما تقوله» .

- أنا لست كذاباً .

- وأنا ما اعتدت تلفيق الأمور .

- أنت ترين ما تريدن أن تريه .

- وأسمع ما لا أريد أن أسمعه .

قال عابساً وعيناه تقدحان شرراً: «وما معنى هذا؟» .

- حلل ذلك بنفسك .

فقال ببطء: «أدرك أن ثمة أقاويل عني وعن سيرينا . إشاعات بشعة .

وهذا أمر عادي في أماكن العمل . من الذي أخبرك بذلك؟ أخبريني فأطرده على الفور» .

لم تستطع أن تصدق أنه ما زال يبذل جهده في إنكار علاقته بسكرتيرته الجميلة . إذا كان زملاؤه في العمل يتحدثون عن ذلك ، فلا بد أنه صحيح . فما من دخان من دون نار . وقالت له ببرودة: «لا أنوي أن أخبرك عن مصدر معلوماي . سيأتي هذا في حينه . لا أريد أن أتحدث مع سيرينا ، أو حتى أن أراها مرة أخرى . لن أصدقها ولو أقسمت على الكتاب المقدس» .

شعرت بالاشمئزاز من هذا الرجل الواقف أمامها ، الذي كان يرتدي كزة وسروالاً أسودين زادا شعره سواداً . ذات يوم ، رآته جذاباً للغاية في الملابس السوداء ما أشعل فيها الرغبة كما لم يحدث قط من قبل . ولكن ليس الآن ، إذ بدا لها الآن شيطاناً .

جاهد لويجي للتحكم في نفسه . لقد حدث خطب عظيم الليلة الماضية . شخص ما قال شيئاً بشعاً عنه صدقته ميغان . الغيرة التي رآها منها وسرّها ، استحالت إلى شيءٍ بشعٍ وخطير يهدد مستقبله كله .

لقد هدّدت بالهرب مرة أخرى . هل ستفعل ذلك؟ توقف قلبه عن الخفقان عندما لم تظهر في غرفة الفطور ، وتوقع الأسوأ فصعد ركضاً إلى غرفتها ليتفحص خزانها . وكان ارتياحه لا حدّ له عندما اكتشف أن ثيابها ما زالت مكانها . أم هل هي مجرد الملابس التي اشتراها لها؟ أخذ يتفحص الأدراج فوجد كل شيء في مكانه ، ثم تفحص غرفة شارلوت فوجد ملابس الطفلة معلقة في الخزانة .

عندما وجد ميغان في غرفة الأطفال تملكه مزيج من الغضب والارتياح . لم يكن يشك في أنها تتجنبه . وها هي الآن تقف أمامه أشبه بقتنذ يستشعر خطراً ، معتقدة أنه على علاقة بسيرينا!

سألها فاتحاً ذراعيه وقد تصلّب جسمه وبان السخبط في عينيه: «كيف أبرهن لك أنك مخطئة» .

- بطرد سيرينا وإخراجها من حياتك إلى الأبد .

حدّق إليها بمزيج من الرعب والغضب: «لا يمكنك أن أفعل ذلك . فهي تعرف تفاصيل العمل كلها ، ومن دونها سأضيع» .

فسألته بتهكم: «وهل هي ستضيع من دونك؟» .

لكنها لم تكن تتحدث عن العمل . لو يعلم فقط من الذي زرع الشك في رأسها لشنقه أو أغرقه من دون رحمة ، أو جعله على الأقل يتراجع عن كلامه أمام ميغان . ثمة احتمال كبير في أن يفقد زوجته وابنته معاً لأن شخصاً ما كرر بقاء ، إشاعات كاذبة .

لا ، ليس طفلته . لن يدع شارلوت ترحل أبداً فهي من لحمه ودمه . إذا فشل في إقناع ميغان بالبقاء ، فسيحارب للحصول على الوصاية على طفلته لأنها أضافت معنى حقيقياً على حياته ، ولن يعاملها أبداً كما عومل هو في طفولته .

قال لها بحدة: «أنت ترين أموراً غير موجودة . ما كان ينبغي أن تصغي إلى الأقاويل . لكنني لن أتوسل إليك لكي تمنحني فرصة لإثبات ذلك فامرأة مستقيمة مثلك عليها أن تميز بين الحقيقة والخيال» .

يا إلهي ، ما أجملها هذا الصباح! لماذا تبدو المرأة مثيرة ، ورائعة الجمال دوماً ، بينما الرجل الغاضب يبدو بشعاً؟

- هدّدتي الليلة الماضية بالرحيل . أما زلت مصممة على ذلك؟

تردّدت لحظة قبل أن توميء بالإيجاب فتوترت شفتاه: «جرى هذا الحديث من قبل . لكن ربما من الأفضل أن أكرر نقطة واحدة . شارلوت ستبقى» .

ارتجفت ذقن ميغان وبدت الصلابة في عينيها: «لقد جئنا أنا وشارلوت معاً وسنرحل معاً».

- عليك إذن أن تدرسي قرارك جيداً، لأنني سأعثر عليك أينما كنت.

وكان جواب ميغان أن استدارت على عقبها وابتعدت، وبقي هو من دون فكرة عمّا تنوي فعله.

## ١٠ - رحلة إلى عالم جديد

أمضت ميغان طيلة فترة الصباح تفكر في مستقبلها. لم يساروها الشك في أن لويجي عنى كل كلمة قالها. سيعثر عليها. ما من مكان آمن لهما. وسيأخذ منها ابنتها، بينما تبقى هي وحيدة. مجرد التفكير في أن سيرينا ستكون أمّاً لشارلوت أرسل تشعيرية باردة في جسمها.

سيرينا لا تفكر سوى بنفسها، وستكره تربية طفلة متمردة. قد ترسلها إلى مدرسة داخلية حالما تسنح لها الفرصة وستكره شارلوت ذلك. لن تسمح ميغان للويجي بأن يأخذ منها شارلوت.

لكنها لا تستطيع البقاء هنا متجاهلة علاقة لويجي بسيرينا. كانت ترجو، متلهفة، أن يجلبها لويجي بقدر ما تحبه. كانت تشعر بالغيرة من سيرينا وتدعو الله ألا يكون لهذه المرأة أهمية في حياة زوجها. وقد حاولت جهدها أن تصدقه، لكن من دون جدوى.

لم تر لويجي مرة أخرى إلا على الغداء. سمعته يخرج، ولم يلزمها ذكاء بالغ لكي تتكهن إلى أين ذهب، لكنها لم تدرك أنه عاد. كانت إيحي قد أعدت المائدة وجاءت لتخبرها بأن الغداء جاهز. فسارت إلى غرفة الطعام لتفاجأ برؤية لويجي هناك.

ابتسم لها وكان شيئاً لم يحدث. بدا أكثر ارتياحاً عما كان عليه في الصباح. لا بد أنه تأثر سيرينا، كما أخذت ميغان تفكر متهمكة وهي تجلس على كرسي قبالة.

سألته: «لا عمل اليوم؟».

هز رأسه: «إنه عيد رأس السنة وعطلة رسمية».





- وهو عيد لا تلتزم به عادة.

فسألها باسمًا بانتصار: «أنسيت أنني تغيرت؟».

تشوَّش ذهنها. إنه يتصرف وكأن شيئاً لم يحدث. هل هذه خطته؟ هل يأمل أن ينجح في التقرب منها بتجاهل جدالهما؟ لن تسمح له بذلك. لكنها ستسايره في خطته هذه كيلا تراهما شارلوت في نزاع مستمر.

ازداد انهمار الثلج أثناء الليل. وبعد الغداء، خرج الأربعة لكي يتراشقوا بالثلج فأمضوا وقتاً صاخباً حتى ابتعدت شارلوت عن البقية أكثر مما يجب.

لم تكن ميغان تراقبها، ولم تفكر في البحيرة حتى أطلق لويجي صرخة ذعر واندفع راكضاً باتجاهها، فتملكها الذعر هي أيضاً ولحقت به وهي تصرخ تنادي ابنتها. كيف يمكن أن تقع شارلوت في البحيرة ومن حولها ثلاثة راشدين؟ ماذا كانوا يفعلون؟ يتراشقون بالثلج؟

خلع لويجي سترته وحذاءه وقفز إلى الماء بينما ملأ الرعب قلب ميغان. كان عليها أن تراقب ابنتها بشكل أفضل.

رأتها مستلقية في الماء، فانهمرت دموعها: «أواه يا إلهي يا طفلي!». وأخذت تنزع سترتها والخوف يخنقها، لكن لويجي كان قد وصل إلى الطفلة وانتشلها بين ذراعيه غائبة عن الوعي.

ظنَّت ميغان أنها ميتة، إذ بدت جامدة بالغة الشحوب لكن لويجي أخذ يضربها على ظهرها حتى تقيأت الماء الذي ابتلعتته. بعدئذ، أخذت تبكي مطالبة بأماها.

وقال لويجي بخشونة: «سأحملها إلى المنزل».

ركضت ميغان بجانبه وهي لا تفناً تطمئن إلى أن كل شيء سيكون على ما يرام. كانت شارلوت ترتجف بعنف وقد ازرقَّت شفثاها. قالت كيت التي بدا عليها الذعر والشحوب: «سأعدُّ لها حماماً ساخناً».

سأل لويجي: «هل علينا أن نستدعي الطبيب؟».

فردَّت كيت: «لا، إلا إذا دخلت في حالة صدمة».

خلعت ميغان ملابس ابنتها وساعدتها على الاستلقاء في المياه الدافئة وهو تواسيها. وشيئاً فشيئاً، عاد لون الطفلة إلى طبيعته، وكفَّت عن البكاء وابتسمت بضعف.

كان لويجي يقف في الخلف مراقباً. عندما التفتت ميغان إليه رآته يرتجف هو أيضاً، فقالت له: «يا لك من أحق! اذهب وخذ حماماً ساخناً، وإلا سنضطر لنقلك أنت إلى المستشفى».

فقال بصوت مرتجف والدموع تلمع في عينيه: «هل ستكون على ما يرام؟».

- أظن ذلك.

- تيباً لتلك البحيرة! كادت شارلوت أن تغرق. سأجعلهم يردمونها.

فقالت تطمئنه: «لا، ما كانت لتغرق ونحن جميعاً من حولها نرعاها».

- لم نرها وهي تتجه ناحية البحيرة. ويوماً ما قد تكون وحدها خارج البيت، لا يمكنني أن أغامر. لم أفكر قط... آه، يا ميغان، ماذا لو...

لم تنتظر لتسمع البقية، بل طوقته بذراعيها وقالت: «لا داعي للاحتمالات فهي بخير والفضل لك. إنها بحيرة جميلة ولا يمكنك أن تردمها».

- سأسيبها إذن. يجب ألا يعاني الآباء من أمور كهذه.

وافقته على كلامه، فرويته متكدراً إلى هذا الحد حركت مشاعرها إذ أثبت مدى حبه لابنته. حتى لو لم يكن قادراً على التعبير عن هذه المشاعر، إلا أنها موجودة.

لم تعان شارلوت من أي مضاعفات نتيجة سقوطها في مياه البحيرة، لكنها بقيت طيلة النهار تطالب بأماها وأبيها بدلاً من كيت. أخذت

ميغان تنظر إلى لويجي وهو يلعب معها، ويحتضنها بشكل عفوي ليهمس في أذنها بكلمات من المفترض ألا تسمعها ميغان. بدا وكأنه يقول لها إنه يحبها.

شعرت ميغان بغصة وهي ترى هذا الرجل الذي كانت حياته العملية تعني له أكثر من أي شيء آخر في العالم، يعزّي روحه من أجل ابنته، فهذا يثبت أن معجزة حصلت. حتى لو ولم يكن يحبها هي، فحبه لابنته يعني الكثير. أخذت تتساءل مرة أخرى عما إذا كان من العدل أن تسلبه شارلوت.

يمكنها أن ترى السعادة في عيني شارلوت بمجرد النظر إليها. كان مثالاً لكل ما أرادته في الأب. ستتهار ابنتها إذا أخذ منها الآن. ولكن، كيف يمكنها أن تعيش مع رجل على علاقة بامرأة أخرى؟ إنها حقاً في مأزق لا يمكن الخروج منه.

عندما حان وقت النوم، أصرت شارلوت على أن يحملها لويجي ويضعها في سريرها. ولم تعلم ميغان ما إذا كان السبب هو أن لويجي أنقذها من البحيرة، أم لأنه منحها من الرعاية والاهتمام أكثر مما اعتاد أن يفعل من قبل.

قرأ لها حكايتين قبل أن تنام ويدها في يده الكبيرة. بعدئذ، أمسك بيد ميغان وقادها خارج الغرفة، قائلاً: «فلنذهب ونجلس في غرفة عملي قبل العشاء».

لم تعترض. في البداية، أخذ يعتذر لما حدث لشارلوت، فقالت تطمئنه: «الذنب ليس ذنبك، كما أن عليّ أن أعترف بأن شيئاً من التحفظ كان يتملكني بالنسبة إلى البحيرة».

- ولماذا لم تخبريني؟ كنت سأفعل شيئاً ما حيال ذلك.

- لو عشنا هنا بشكل دائم لفعلت.

قطب جبينه وقال: «لا أريدك أن ترحلي، يا ميغان. أنت وشارلوت

تعينان لي الكثير».

رفعت حاجبيها: «هل أعني لك الكثير؟».

- ما رأيك؟ أنت زوجتي.

نعم، هذا صحيح إنها زوجته ومن واجبه أن يهتم بها. لكنه لا يحبها، وإلا لما استمر في علاقته بالمرأة الأخرى. ولم تشأ أن تبدأ جديلاً آخر، فتركت الأمر يمر وقالت: «أرجو ألا تعاني شارلوت من أي أثر لما حدث».

فأجاب على الفور: «هل هذا ممكن؟ كان علينا أن نأخذها إلى

المستشفى».

- لا داعي لهذا، علينا فقط أن نراقبها.

- سأجلس معها طوال الليل إذا كان هذا ضرورياً.

فقالت بلطف: «لا ضرورة لذلك. سأسمعها إذا استيقظت».

ذكّرها: «لكنك لم تسمعها تلك الليلة؟».

- سأصغي جيداً هذه الليلة.

- يمكننا أن نصغي معاً.

ما إن نطق بهذه الكلمات حتى استيقظت أحاسيسها ودبت فيها الحياة. جلوسها هنا معه، والنار تستعر في المدفأة، والستائر الحمراء السميكة المسدلة تصد برد الشتاء، جعلها تنسى كل شيء آخر ما عدا هذه الأوقات الجميلة. الغريب أنها، ورغم كل معاناتها، ما زالت تجد في نفسها رغبة نحوه. ولاحظت في عينيه أن شعوره بمائل شعورها.

لكن كيف تسمح له بالتقرب منها كزوجة بينما خيال ذات العينين الخضراوين يحوم حولهما ويزعجها؟ يا إلهي، إنها تريده، لكنها لا تستطيع أن تحصل عليه. لا... هذا خطأ يمكنها أن تحصل عليه، ولكن بشروطها. وشروطها هي أن يلغي سيرينا من حياته إلى الأبد.

قال بلطف وإقناع: «ميغان، أريد لزوجنا أن ينجح. أريدكما أنت

وشارلوت معي طوال الحياة».

فقلت بصوت أبح: «أعلم هذا. لكنني لا أستطيع...».  
- انسي ما سمعته. ليتني أعرف من أخبرك بذلك. إنه كذب...  
كله كذب.

- أيمكنك أن تثبت لي ذلك؟

- سأجعل سيرينا تخبرك بنفسها.

هزت ميغان رأسها بسرعة: «لا. الإثبات يجب أن يأتي منك أنت».

- أتعنين أن أطردها من حياتي كلياً؟ هذا مستحيل. لا يمكنني

ذلك.

لم تفارق عيناها عينيه وقالت: «إذن، فلا مستقبل لنا معاً».

لم يرفع أي منهما صوته. كان حديثاً هادئاً مهذباً، وهنأت ميغان

نفسها لأنها تمكنت من التحكم بطباعها.

- لكنني أظن أن الأمر ممكن. ولهذا سأخذك في رحلة لعدة أيام.

تملكتها موجة غضب. لن يعاود الكرة. لكن وقبل أن تتكلم عاد

يقول: «شارلوت ستبقى مع المريية. أنا وأنت فقط ولن أقبل منك كلمة

رفض. نحتاج هذا الوقت للتفاهم وذلك أكثر من أي وقت مضى.

سرحل في الصباح بعد الفطور مباشرة، وبموافقة شارلوت طبعاً».

- لا يمكنك أن تفعل هذا. لن ننجح. لا شيء سينجح.

- اسمحي لي أن أخالفك الرأي، فهذا ما أردت القيام به منذ

حضورك إلى هنا. ويا ليتنا فعلنا هذا قبل أن يتسمم ذهنك.

فقلت وهي تحول عينيه عنه: «برأيي، ما كان ذلك ليشكل أي

فرق. فالحقيقة لا بد أن تنكشف في النهاية».

ردّ بشيء من السخرية: «نعم، الحقيقة! يمكنني أن أضمن لك أنها

ستظهر. هذا يحدث دوماً كما تقولين. حينذاك، سنجدد أنا وأنت عهد

الزواج».

بدا واثقاً مما يقول إلى حد أو شكت معه أن تضحك. إنه يعيش

حلماً فما من مستقبل لهما معاً إلا بصفتها والديّ شارلوت. ومن أجل

ابنتهما قد يتظاهران أمام الآخرين بأن حياتهما طبيعية... وبقيت  
مشتتة الذهن، تتساءل عما إذا كان عليها أن ترحل، كارهة نفسها  
لضعف إرادتها ورغبتها فيه بهذا الشكل. أما هو فستكون لديه سيرينا  
لتلبي حاجاته، بينما ستكون حياتها هي قاحلة، خالية، مليئة بالألم.  
وتمنت من كل قلبها لو أنها لم تذهب إلى متجر جيرارد في ذلك اليوم.

- إلى أين تريد أن تأخذني؟

وجدت أن الجدل معه عقيم، فسيحصل على ما يريد، لكن هذا لا

يعني أنها ترى فائدة من ذلك. وإذا ظن أنها ستشاطر سريره، فسيخيب

أمله.

- سأقول لك ذلك في ما بعد. لكنني أعرف أنك ستوافقين.

شعر لويجي بحماسة لم يعرفها منذ وقت طويل، فإقناعها بالرحيل

معه كان أسهل مما توقع. مع الوقت، سيقنعها بأنه ليس ذلك الورد

الشرير الذي تظنه. سيستعمل كل قدراته ليجعلها تنسى سيرينا وتتقبل

فكرة أنه حبيبها الوحيد... كما هي بالنسبة إليه!

فكرة أن شخصاً ما دمر علاقتهما الهشة، كانت تملأه باليأس. يوماً

ما، سيعرف الحقيقة، إنه واثق من ذلك. لكنه، وفي هذه اللحظة،

مصمم على التركيز على المستقبل. لقد فكّر كثيراً إلى أين يأخذها، ووجد

المكان المناسب تماماً.

عندما جاء الصباح وجد أن شارلوت استعادت حيويتها وتألقت

السابقين، فتنفس الصعداء. ما من شيء يمنعهما بعد الآن... ما عدا

ميغان. توقع أن تغير رأيا مرة أخرى فاستعد بكل طاقته لكي يقنعها

من جديد. لكن السرور والدهشة تملكاه حين أخبرته أنها حزمت

أمتعتها.

غادرا المنزل بعد الفطور مباشرة، فوفقت شارلوت تلوح لهما مودعة

وعيناها مغرورتان قليلاً بالدموع.

وبعد دقائق، نظر لويجي إليها: «لا تكوني تعيسة بهذا الشكل يا

ميجان. هذه ليست نهاية العالم».

- لم أترك شارلوت قط من قبل.

لم يكن هذا الجواب الذي توقعه، فابتسم بحرارة: «أنا واثق من أنها ستسلى. إنها تحب كيت وأنا واثق من أنهما ستكونان سعيدتين تماماً معاً».

- ماذا لو أحببت كيت أكثر مني؟

- وهل هذا ممكن؟ إنك كل شيء بالنسبة إليها. ستعد الأيام. لقد رأيتهما هي وكيت تحضران رزنامة هذا الصباح.

شعرت بتحسّن بعد هذا الكلام، وأخذت تهتم بالمناظر من حولها. شعرت بحماسة كحماسة ابنتها لو رافقتها، إذ كانت ترى شيئاً جديداً مع كل منعطف. وكان هو مسروراً بالنظر إليها فقط.

قالت: «من المؤسف أن نترك كل هذا الجمال خلفنا».

- ومن قال إننا سترك هذا خلفنا؟

قالت جبينها وسألته: «ظننت أننا سنسافر خارج البلاد. فأحضرت جواز سفري».

- ولماذا نضيع الوقت في الطائرة؟ كما سبق وقلت لك، يا ميجان، ستعشقين هذا المكان. والآن، لا تطرحي مزيداً من الأسئلة. اجلسي واستمتعي بالمشاهد؟

\*\*\*

توجها نحو الشمال، ومرا بمناطق لا تليج فيها على الإطلاق. بدأت تسترخي بارتياح رغم أنها لم تستطع منع نفسها من التفكير في شارلوت وشوقها إليها.

توقفا لتناول الغداء، لكنهما لم يتأخرا لأن لويجي بدا متلهفاً لمتابعة الرحلة. أخذتا يتبادلان الأحاديث من حين إلى آخر، ولم يكن هو يطلب منها إلا أن تستمتع بما تراه، فبذلت جهدها كي تنسى سيرينا وتأثيرها فيها، مركزة على الحاضر.

لم يكن لديها فكرة عما ستعيشه. أي محنة أو اختبار؟ وأي بهجة أو لذة؟ ستتقبل ما يأتي به كل يوم.

ربما... وخطرت في بالها فكرة مفاجئة... فكرة كان ينبغي أن تحظر في بالها من قبل. ربما، إذا طارعت، إذا كانت له روحاً وجسداً، وتحررت من كبتها وعقدتها النفسية، فينسى سيرينا.

هل هذا هو الحل؟

هل سيكون هذا سلاحها في مواجهة المرأة الأخرى؟

إذا منحت لويجي كل ما يريده، فلن يحتاج إلى البحث في مكان آخر.

يا الهي، كم كانت عمياء!

الحل لكل مشاكلها هو أن يحدّق إليها في وجهها ويعلن حبه لها! ولكن لماذا تدع هذا يقلقها؟ لم يكن يقلقها في الماضي، إذ اعتبرت ذلك مجرد كلمة. المهم هو الشعور بأنها محبوبة. يمكن للويجي أن يردد كلمة الحب على مسمعها بقدر ما يشاء، لكن هذا لن يعني شيئاً إلا إذا أظهره في كل تصرف مهما كان صغيراً. وقد بدأ يظهر ذلك بتخصيصه المزيد من الوقت لها على حساب عمله.

وشعرت فجأة بسعادة لم تعرفها منذ وقت طويل.

- لماذا تضحكين؟

ولم تدرك أن خطتها مكشوفة، فالتفتت إليه: «هل أضحك حقاً؟».

وكأنها لم تكن تعلم. قال: «تبدين رائعة الجمال».

سيكون الأمر سهلاً للغاية! وشعرت أنها متحمسة للاندفاع مع كل نزوة طارئة منها.

أترامها ذاهبين إلى سكوتلندا؟ ستكون خيالية الجمال في هذا الوقت من السنة لا سيّما إذا انهمر الثلج. لكن، بعد قليل، وصلاً إلى «كمبريا» ثم بحيرة «ديستريكت» فترك الطريق العام.

هتفت بحماسة: «البحيرات. لطالما تمنيت زيارتها».

أناس كثيرون حدثوها عن مدى جمال المنطقة ببحيراتها وجبالها.  
ولطالما ممت نفسها بزيارتها لكنها لم تفعل قط.  
- تبدين مثل شارلوت عندما رأيت الثلج لأول مرة.  
- لعلني أشعر مثلها.

لم تستطع ميغان أن تخفي سرورها. ولم يكن هذا كله بسبب المكان  
الذي يقصدانه! كانت خطتها الخفية تبلور في ذهنها. إذا سار كل شيء  
على ما يرام، فستستعيد زوجها مرة أخرى... بعد أن يتحول إلى رجل  
مختلف يمضي مزيداً من الوقت مع زوجته وابنته، ويتخلى عن سيرينا.  
وقد تقرر سكرتيرته عندئذ أن تستقيل من عملها.  
أرادت أن ترفع ذراعيها وتهتف فرحاً، إلا أنها خشيت أن يطالبها  
بتفسير، فاكثفت بإبتسامة عريضة أخرى.

عندما وصلا إلى مقصدهما، كان الظلام قد حلّ. دخلا من بوابة  
حديدية واسعة إلى أراضي منزل كبير جعلته أنواره المتدفقة يبدو كقصر  
باكتفهام. وتملكتها خيبة أمل للحظة. من منزل فخم من دون قلب إلى  
آخر! لكن وقبل أن تتكلم تحوّل لويجي عن الممر الرئيسي إلى ممر أضيق  
تظلمه أغصان أشجار عارية، وكشفت أضواء السيارة عن كوخ صغير  
خشبي كامن في ظل أشجار عملاقة.  
- هل ستمكث هنا؟

فاوماً: «إنه لصديق لي خارج البلاد الآن».

- هل يعلم أننا نستعمله؟

- طبعاً.

نزلت من السيارة وركضت إلى الكوخ. رأت الدخان يتصاعد من  
المدخنة ونوراً في الداخل فالتفتت إلى لويجي متسائلة.

- أعطيت تعليماتي لإعداده. افتحي الباب فهو غير مقفل.

فتحت الباب بمحذر، فطالعها الدفء المنبعث من الداخل. دخلت  
ونظرت من حولها، يا له من مكان جميل! كانت المدفأة تنشر الدفء في

أنحاء المكان. جالت في الكوخ فرأت باباً يؤدي إلى مطبخ قروي تنبعث  
منه رائحة طعام لذيذ جعلتها تدرك مدى جوعها. وقبل أن تطرح أسئلة  
أخرى، فتح باباً آخر يقود إلى حمام، وثالثاً يقود إلى غرفة نوم مع  
سريرين منفصلين. آه... سيكون هذا صعباً!

رأت سلماً في إحدى الزوايا فنظرت إلى لويجي متسائلة. أو ما وكأنه  
يقول إن بإمكانها أن تصعد وتكتشف المكان. عند أعلى السلم فسحة  
تطلّ على القسم السفلي، ومنها دخلت إلى غرفة نوم بعيدة عن أعين  
الساكنين في الطابق السفلي، غرفة تحتوي على سرير واسع يعلوه غطاء  
أحمر موشى بالذهب ورائع الجمال. وفتحت باباً فوجدت نفسها في حمام  
فسيح جداً. فكرت وعيناها تجولان على رفوف مليئة بالمناشف وأدوات  
الحمام، أن بالإمكان إقامة حفلة فيه.  
سألها: «هل أعجبك؟».

لم تكن تعلم أنه يقف خلفها مباشرة، فقالت: «إنه... مختلف».

الوقت ما زال مبكراً لتبدأ خطتها. في الواقع، كانت الغرفة رائعة،  
مصممة للإغراء. هل هذا ما في ذهن لويجي أيضاً؟ لسبب ما، لم تفكر  
في هذا. كانت أفكارها المثيرة غملاًها حاسة. لكن، لعله أتى إلى هنا من  
قبل، مع سيرينا! وأصابتها هذه الفكرة بالغيثان. ولاحظت تغييرها  
المفاجيء، فسألها: «ما بك؟».

- لا شيء.

- لا شيء؟ هل تشعرين بالمرض؟ أم أنت جائعة؟ لم تأكلي جيداً عند  
الغداء. هيا بنا لنأكل. وسأنزل الأمتعة من السيارة لاحقاً.

وفي الطابق السفلي، أصرّ على أن تجلس فيما يعدّ هو المائدة. قطع  
الخبز ووضع طبق الطعام الذي يتصاعد منه البخار وسط المائدة وهو  
يقول: «فلنبداً. أنا جائع جداً في الحقيقة».

في هذه الأثناء، كانت ميغان قد تماكنت نفسها. هل يهمها إن كانت  
سيرينا قد أتت إلى هذا المكان أم لا؟ إنها تكافح لإنجاح زواجها، وهذه

أحسن فرصة لتطرد تلك المرأة من ذهنه و... من حياته كما ترجو،  
فرصة عليها أن تتهزها وتمسك بها.

قالت وهي تشير إلى الطبق : «من حضر هذا؟».

- مدبرة منزل ميشيل؟

- ومن هو ميشيل؟

- صديق مالك هذا البيت. تعارفنا خلال العمل.

- علينا أن نشكر مدبرة منزله. هذا طعام رائع.

- هذا إذا رأيناها. لقد ملأت الشلاجة وخزانات المطبخ بأطعمة  
تكفي لأسبوعين.

- من أخبرت صديقك أنه سيحضر معك؟

فتظاهر بأن سؤالها صدمه وردة: «زوجتي طبعاً. ظن ميشيل إني أمزح  
لأنه يعلم أننا منفصلان، ولست متأكداً مما إذا صدقتي، لكنني  
سأقدمك إليه ذات يوم. إنه، مثلي، نصف إيطالي».

إنه يتكلم وكأنه واثق من أنها ستبقى معه. نعم، ستبقى ولكن وفق  
شروطها. وهو لا يعلم أن تلك الشروط لا تتضمن امرأة شريرة حمراء  
الشعر.



## ١١ - خطة إغراء

أثناء تناول الطعام، تعمّدت ميغان أن تطرد من ذهنها كافة الأفكار  
المتعلقة بسيرينا، مركزة اهتمامها كله على لويجي. ولم يكن هذا صعباً.  
ففي هذا المكان الدافئ المريح بجدران الخشبية وإضاءة الخافتة، شعرت  
وكإنها في عالم آخر... عالم ليس فيه سواهما حيث يمكنها أن تفعل ما  
يحلوا لها... أن تكون كما تريد.

قال لها باسمياً: «تبدين أحسن».

- أشعر أي كذلك. كنت محقاً حين قلت إنني جائعة. هذا الطعام  
لذيذ جداً.

لم تشأ، في الواقع، أن تتحدث عن الطعام فهذا حديث الغرباء في  
حين أن لويجي ليس غريباً. لويجي الذي ستغريه زوجته.  
وجعلتها هذه الفكرة تبسّم.

- تبدين أسعد بكل تأكيد.

قالت مستعدة لأن تخبره عن سبب سعادتها: «من الغريب أنه لا  
يوجد ثلوج هنا».

- أنا مسرور لذلك وإلا لما استطعنا الوصول. لقد انهمرت الثلوج  
بكثرة في سكوتلندا وقد نتمكن من التزلج أثناء وجودنا هنا.

- لقد نسيت تقريباً كيف أتزلج.

- كلام فارغ، فالأمر أشبه بركوب الدراجة الهوائية، عندما تتعلمينه  
لا تنسيه أبداً.

قد تحاول أن تقنع نفسها بأنها تكرهه، أو بأنها طردته من حياتها،

لكنها في هذه اللحظة، لا تتذكر سوى اللحظات التي عاشها معاً.  
قالت: «لا أظنني أريد الذهاب».

فأجاب ضاحكاً: «هذا حسن لأنني أريد ذلك أيضاً. كل ما أريده هو أن أمضي وقتي كله معك هنا. هذا أحسن مكان أعرفه للراحة واسترداد الصحة».

وفكرت هي في أنه لن يحصل على الكثير من الراحة.

- علينا أن نعوض عن الكثير مما فاتنا.

وهذا صحيح.

- وأن نتحدث ونتفاهم.

وتمنت أن يكون الفعل أبلغ من الحديث.

- وأرجو أن يكون هذا مكاناً محلّ فيه مشاكلنا.

بل مشاكله!

- وحيث نبدأ معاً حياة جديدة.

نعم! نعم!

سألها حين رآها صامتة: «أليس لديك ما تقولينه؟».

فابتسمت ابتسامة بطيئة أضاءت وجهها، وقالت: «أظنني متعبة من السفر هذه الليلة فدعنا نجلس فقط ونصغي إلى بعض الموسيقى».

ومن الأفضل أن تكون موسيقى شاعرية حيث الإغراء مضمون.

قال وهو يهيب عن كرسيه على الفور: «هذا يناسبني، سأكون المضيف هنا. أما أنت فاختراري ما تريدين من موسيقى من هذه الأشرطة».

رؤية لويجي يقوم بالخدمة في المنزل تغيير حسن استمتعت به. وبدا وكأنه هو أيضاً مستمتع بذلك. إذن، ما الذي جعله يشتري ذلك المنزل الضخم؟ لعله رمز المكانة الاجتماعية؟ لا بد أن هذا هو السبب. عندما يعودان إلى بعضهما البعض بكل معنى الكلمة، وبعد أن تطرد سيرينا، ستصرّ على الانتقال منه.

يمكنهما أن يشتريا بيتاً فسيحاً لا ينقصه الدفء والحميمية. يمكنهما أن يبقيا كيت معهم، وقد يستخدمان مدبرة منزل بدوام نصفي. إذ قد يحتاجانها إذا أنجبا مزيداً من الأطفال. لم تصل أفكارها إلى هذا الحد من قبل، لكن هذه الفكرة أعجبتها. وستصرّ شارلوت إذا ما حظيت بأخ أو أخت.

- من المفترض أن تختاري الموسيقى لا أن تستسلمي لأحلام اليقظة.

كان لويجي قد أنهى العمل في المطبخ وعاد إليها ليجدها متكئة على الأريكة تحدّث إلى الفضاء. وتابع يقول: «لا بد أن ما تفكرين فيه أمر حسن كي ترتسم هذه الابتسامة الحلوة على وجهك. خشيت ألا يعجبك هذا البيت، وأن تشتاتي لشارلوت كثيراً. بالمناسبة، هل توذنين التحدّث إليها هاتفياً قبل أن نجلس؟ ما من هاتف لكن هاتفني الخليوي معي».

كم هو رقيق؟ لماذا خطر لها أنه يفكر في العمل أكثر مما يفكر فيها؟ أم أنه يتظاهر بذلك للتأثير فيها؟ وهل سيدوم هذا؟ عليها أن تتأكد من ذلك في أيامهما المقبلة هنا. عليها أن تشير رغبتها بحيث يجد صعوبة في الخروج، حتى للعمل.

لم تتمكن من استخدام الهاتف بسبب انقطاع الإرسال. فنظرت إلى لويجي بقلق حقيقي: «ماذا لو حاولت كبت أن تتصل بنا؟ ماذا لو أصيبت شارلوت برد فعل على حادثة البحيرة؟ ماذا لو أن شيئاً آخر حدث لها؟».

فقال وهو يضع ذراعه حول كتفها: «لا تخافي. لقد أعطيت كيت رقم هاتف منزل ميشيل. إذا طرأ شيء فستصل هي بيته ليوصلوا لنا الرسالة».

لقد فكر رجلها في كل الاحتمالات. رجلها؟ أعجبتها هذه الفكرة. إنه رجلها هي ولم تعد له صلة بسيرينا. إنه لا يعرف هذا الآن، ولكن في نهاية هذه الرحلة، لن يقبل حتى باللقاء نظرة على تلك المرأة.

ستحرص على ذلك .

بدت لها فكرة إغراء زوجها غريبة، ليس لأنه يحتاج إلى الكثير من الإقناع، بل لأن عليها أن تكون واثقة من أن أفكاره لن تتحوّل مرة أخرى، إلى سكرتيرته الرائعة، الحمراء الشعر.

قال بلطف: «هيا ندخل إلى البيت. لا أريدك أن تصابي بالبرد».

ولم تدرك ميغان مدى برودة الجوّ حتى وصلت إلى الدفء في الداخل، فأسرعت إلى المدفأة مادة يديها وهي ترتعش.

- هل تريدن شراباً ساخناً؟

- أريد فنجاناً كبيراً من الكاكاو.

وجلست على مقعد بذراعين إلى جانب النار فيما ألقى هو بعض الحطب في المدفأة، ووضع شريطاً من الموسيقى، ثم أحضر الشراب وجلس على كرسي قبالتها.

قال وقد أغمض عينيه: «لا أستطيع أن أتذكر آخر مرة ابتعدت فيها عن العالم كهذه المرة».

- يجب أن تكرر ذلك لأنه نافع للروح.

استطاعت أن تتأمله من دون أن يتب، ورأت خطوط الإرهاق حول فمه وعينيه، وهذا لم تلحظه من قبل. لقد تحمّل رجلها مسؤوليات كثيرة وعليها أن تعلمه كيف يعيش بشكل مختلف. كما رأت بعض الشعر الأبيض عند صدغيه الذي زاد من جاذبيته وأدركت فجأة أن عينيه ليستا مغمضتين تماماً وأنه يتأملها خفية. وسرت موجة ساخنة في جسمها، فأخذت جرعة أخرى من شرابها ثم سارت نحوها وجلست على الأرض بجانبه. لم يقل شيئاً لكنها شعرت بدهشته وأخذ يمرر يده على شعرها بعد أن أراحت رأسها على فخذه.

أخذت تمرر يدها على فخذه بخفة أولاً ثم بجرأة فقال: «يا إلهي يا امرأة! ما الذي تحاولين أن تفعلينه بي؟».

ابتسمت ابتسامة حاملة وردت: «عفواً؟ لم أكن أفعل شيئاً سوى

الإصغاء إلى الموسيقى و...».

- وتشعلين في النار؟ أينها الساحرة العفريتة؟

فسأله مقطبة: «أحقاً أنا كذلك؟ آسفة».

وعادت إلى مقعدها بينما زمجر قائلاً: «أتريدين حقاً أن تقنعيني

بأنك لم تكوني تعلمين ما تفعلين؟».

- ماذا كنت أفعل؟

وجدت صعوبة في الاحتفاظ بمظهر البراءة. أرادت أن تضحك

... وأرادت أن تفعل هذا مرة أخرى. أرادت أن تلمسه، أن تشعر

بقوة شعوره نحوها. لكنها ستؤجل ذلك إلى ما بعد. إنها تريد حالياً أن

تشير رغبته ثم تتدخل عليه. تريد أن تكون «المرأة المدمرة» وهو دور لم

تلعبه من قبل، لكنها تعلم أنها ستستمتع به».

ضاقت عيناه: «بدا لي وكأنك تحاولين إثارتني، وهذا لا يعني أن

هذا ما تقصدينه، فقد أبعدتني عنك منذ يوم العيد».

- أأزعجك أن أجلس على الأرض بجانبك؟ هذا يذكرني بطفولتي

حين كنت أجلس بجانب أبي على الأرض فيما هو يقرأ صحيفته فيمرر

يده على رأسي، شارداً الذهن مثلك.

تباً! إنه لا يريد أن يكون صورة للأب. يريد أن يكون زوجها،

عشيقها، حبيبها. ظن حين جاءت لتجلس بجانبه، أن هذا أجمل من أن

يكون حقيقة فيميغان لم تعتد أن تتصرف على هذا النحو... ليس في

هذه الأيام على أيّ حال.

في أيام زواجهما الأولى، كانت تمثل كل ما يشتهي الرجل في المرأة.

وقد اعتاد هو أن يعتبر ذلك أمراً مسلماً! لكن هذا لن يتكرر مرة

أخرى! إذا استطاع في نهاية هذه الرحلة أن يقنعها بالعودة إليه،

فسيححرص على أن يكون ذلك إلى الأبد.

قال لها برقة: «تعالني مرة أخرى».

طاوعته لكنه رأى أنها فعلت ذلك على كره منها، ما أحزنه وجعله



يتساءل عما دفعها للجلوس بجانبه من البداية؟ إلا إذا كانت قلقه على ابتها وتحتاج إلى مواسة.

هذه المرة شبكت ذراعيها على ساقه ثم أسندت رأسها عليهما وأخذت تنظر إلى اللهب المتصاعد من المدفأة، وهي تقول: «ما أحلى السكون والهدوء هنا».

- أنا مسرور لأنه أعجبك.

- لماذا لا تشتري بيتاً مثله؟

- إذا كان هذا يسعدك فسأشتري واحداً.

فقلت على الفور: «ليس من أجلي».

- ولماذا أرغب في مثل هذه الخلوة لنفسني؟

- أنا واثقة من أنك ستجد امرأة تشاركك فيه.

- لا أريد سواك.

شعرت بتوتر مفاجيء يملكها بعد كلامه هذا. لعل الوقت ليس مناسباً للإلحاح عليها فقال: «حسن يا ميغان، يمكننا أنت وأنا أن نتكلم، أن نرتاح، أن نفعل ما نريد من دون مقاطعة. ثمة فرق كبير بين هذا وبين برنامج عملي المحموم».

- لا أصدق أنك تجد هذا حسناً فالعمل ينعشك.

كان هذا صحيحاً، في الماضي. تغيرت حياته وعاد إلى الواقع عندما علم أن لديه ابنة واكتشف أنه ما زال يحب زوجته. وهو ينوي أن يبذل قصارى جهده كيلا تهرب منه مرة أخرى.

لم يكن يجب أن يهددها يأخذ شارلوت من أمها، حتى أنه لم يكن واثقاً من أنه سيفعل ذلك. لكن هذه على الأقل حيلة منه كي تبقى، وها هي هنا وسعيدة لأنها معه، كما تبدر. لم يستطع أن يحتمل فكرة أن تقضي ثلاثة أيام معه إذا لم تشأ ذلك حقاً. كان يرجو أن تشاركه فراش الزوجية لكنه سيحتاج لطاقته كلها كي يقنعها. وقال بهدوء: «في الواقع، أجده تغييراً ممتعاً».

- إلى متى؟ كم سيدوم هذا قبل أن تتلهف للعودة إلى العمل؟

- من الغريب أن لا رغبة لي في العودة. كل ما أريده هو أن أكون معك، لإنقاذ حياتنا الزوجية.

وعاد يداعب شعرها، هذا الشعر الناعم المعطر الذي أراد أن يدفن وجهه فيه. كم من الصعب أن يضبط نفسه، ويكبح المشاعر الثائرة في جسده.

فجأة رفعت ميغان وجهها ونظرت إليه. وعلى وهج النار، خيل إليه أنه رأى حياً في عينيها، وللحظة، رأى فيها الفتاة التي قابلها لأول مرة... الفتاة التي شغفت به منذ البداية، والتي بادلتها حباً محبباً.

أوقفها على قدميها بصمت، ثم ضمها إليه، وعندما وضعت رأسها على كتفه، وفرانك سينترا يغني، شعر بأنه خطأ خطوة أخرى نحو حلمه.

مسكين لويجي فهو لا يعلم ماذا ينتظره. ليس لديه فكرة عن خطتها، عن الهجوم الذي خططت له على حواسه. راحت تداعب أذنه برقة فتسارعت أنفاسه قليلاً لكنه لم يتكلم أو يتحرك.

لم تكن تنوي القيام بأي خطوة باكراً بهذا الشكل. كان عليها أن تنتظر إلى الغد على الأقل، فقلت وهي تتراجع مبتعدة: «أسفة. لا أدري ما الذي حصل لي. نسيت أنك قد تكون مجهداً من قيادة السيارة لساعات طويلة، وربما عليك أن تذهب إلى الفراش».

فتمتم بصوت خافت: «أتعنين أنك ستوقفين عن هذا؟ إلا إذا كنت تعنين أن تذهب إلى الفراش معاً».

فقلت: «أنا أيضاً متعبة».

لكنها كانت تكذب، فهي مستيقظة تماماً، ومن الإثارة بحيث لن يمكنها النوم قبل ساعات.

- دعينا نذهب إلى السرير إذن.

- لم أكن أعني أن تتشاطر السرير نفسه .

قالت هذا بغضب مصطنع ثم حملت فيه وأضافت : «سأنام في أحد السريرين هنا، ويمكنك أن تنام في الطابق العلوي» .

انحبست أنفاس لويجي إذ لم يكن هذا ما توقعه . كان واثقاً أو شبه واثق من أنها مستعدة له كزوج . وأخذ نفساً عميقاً غير متزن ثم انتصب واقفاً .

في الواقع، أراد أن يتشاطرا السرير الفسيح في الطابق العلوي، لكن صوتاً في أعماقه أخبره بأن جوابها على طلبه لن يعجبه . عليه أن يتصرف مثلها إذا أراد أن يصل إلى قرار . وما دامت لم تظهر أي برودة أو لا مبالاة فعليه أن يكون صبوراً، طالما لا تقترح اتباع هذا النظام كل ليلة! وهكذا قال لها بسرور: «كما تريدین . ما كان لي أن أصل إلى استنتاجات سريعة» .

ولمح ومضة في عينيها أنباته بأنها كانت تنتظر منه أن يعترض، لكنها ردت باسمحة: «لا . ما كان لك أن تفعل ذلك . تصبح على خير، يا لويجي» .

ثم مالت عليه وقبّلته .

ابتسمت ميفان في سرّها، وهي ترى دهشته، ولم تعترض حين طوّقها بذراعيه وأطال العناق .

لعلّه يشعر بالارتباك، فتارة تثير أحاسيسه وطوراً تعلن أنها ستنام وحدها . لقد أذهله هذا حقاً لكنه لم يظهر ذلك . سيكون هذا درساً له، ليدرك أن إعطاء الأوامر لن ينفعه . لويجي ليس بالرجل الذي يذعن، لقد أعلن أن عليهما أن يتصارحا ويتفاهما، وسيفعلان ذلك . لكنه لا يعلم أن خطتها تقضي بإبعاد سيرينا عن ذهنه نهائياً .

قالت له بصوت خافت أجش وهي تلتصق به : «شكراً لأنك أحضرتني إلى هنا» .

وعندما حاول أن يطوّقها بذراعيه أكثر انسلت من بينهما مبتعدة:

«تصبح على خير، يا لويجي . أحلاماً حلوة . إلى اللقاء في الصباح» .  
تحدثت إليه كما تفعل مع شارلوت، وأدركت من زمه لشفتيه أنه فهم هذا . لكنها ابتسمت ببراءة مصطنعة وتوجهت إلى الحمام . وما إن أغلقت الباب خلفها حتى تذكرت أن كيسها في الطابق العلوي حيث وضع لويجي الأمتعة، إذ يبدو أنه توقع منذ البداية أن تتشاطره فراش الزوجية . وبعثت ثقته هذه الغيظ في نفسها . أرادت أن تكون المسؤولة وصاحبة المبادرة ولو مرة واحدة، وغاظها ألا يتحقق ذلك .

سمعت طرقاً خفيفاً على بابها ثم انفتح بهدوء ليبدو لويجي باسمّاً حاملاً الكيس بيده: «نسيت شيئاً» .

هذه البشاشة والتهنم زادا من غيظها، فقالت وهي تحتطف الكيس منه: «نعم . شكراً» .

- أتريدین شيئاً آخر؟

- لا . شكراً .

- ثمّة الكثير من الماء الساخن إذا أردت الاستحمام كما أن هناك ...

- قلت لك إنني على ما يرام .

- تصبحين على خير إذن .

لكنه بقي واقفاً وعلى فمه ابتسامة مزعجة .

- تصبح على خير يا لويجي .

- ألم تغيري رأيك؟ سيكون الليل بارداً كما تعلمين .

- إذا شعرت بالبرد فسأني إلى سريرك وأندس فيه .

- وسأكون بانتظارك .

وعندما أغلق الباب، أخذت تفكر في أنه سينتظر طوال الليل .

ستلعب هذه اللعبة على طريقتها الخاصة وليس على طريقتها .

من الغريب أنها شعرت بالنعاس حالما تكوّرت تحت الغطاء .

وعندما استيقظت في الصباح كانت أشعة الشمس الباهتة تتسلل من

خلال الستائر، وتساءلت للحظة، أين هي، ثم قفزت من السرير ونظرت من النافذة بلهفة.

الظلام الحالك منعها من أن ترى أي شيء الليلة الماضية. تملكها السرور الآن وهي ترى أنها على ضفاف بحيرة، لا تفصلها عنهما مسافة كبيرة. ورأت ممراً يوصل إليها كان لويجي يسير فيه.

كان يرتدي سترة سميقة تغطي ياقعتها أذنيه، وقد دسّ يديه في جيبيه. ورغبت في أن تكون معه وتمت لو أيقظها فما كان منها إلا أن دخلت الحمام ثم ارتدت ثياباً سميقة لتنتقل إلى الممر حيث رآته.

عندما وصلت إليه أمسك بيدها ونظر في عينيها بإمعان: «لم أتوقع أن تستيقظي باكراً. هل نمت جيداً؟»

- كلوح الخشب، وأنت؟

- نمت جيداً.

لكنها لاحظت ظلالاً تحت عينيه لم ترها الليلة الماضية.

- لماذا لم تخبرني أن البحيرة قريبة منا بهذا الشكل؟

وحولت نظراتها لتتأمل ما حولهما. كانت قمم الجبال المكلفة بالثلج، والحقول الخضراء والأشجار مذهلة. ونظرت إليه بعيني متألفتين: «إنه منظر يخطف الأنفاس».

- كنت أعلم أنه سيعجبك.

- عليك أن تشتري مكاناً مثله. يا ليتنا أحضرنا شارلوت معنا!

كانت ستعشق هذا المكان.

- هل ستشعرين أنها في أمان هنا قرب هذه البحيرة الكبيرة؟ بحيرتي بجانبها أشبه ببركة صغيرة.

- الحق معك.

لكن المنظر كان من الجمال بحيث أوشكت على البكاء، فوضع ذراعه حول كتفيها: «هيا، لنعد إلى البيت قبل أن نتجمد حتى الموت. يبدو أن الثلج سينهمر».

لاحظت فعلاً أن الريح باردة كالثلج وأن السماء الزرقاء أخذت تتلبّد بالسحب. أبقى لويجي ذراعه حول كتفيها في طريق عودتهما إلى الكوخ، فشعرت بالبهجة ما دفعها إلى الالتفات إليه وطبع قبلة خاطفة على خده. واشتدت ذراعه حول كتفيها فيما أصبحت عيناه كالجمر وهما تنظران إليها.

في الداخل، حضّر الفطور بينما أعدت هي المائدة. رأت النار في المدفأة فأدركت أن لويجي أوقده من دون شك عند استيقاظه في الصباح. هذا المكان مناسب للغاية وما كانت لتجد أفضل منه لتنفيذ خطتها في إغواء لويجي.

سارت إلى المطبخ ووقفت عند العتبة تنظر إليه وهو يكسر البيض في المقلاة ثم قالت بمرح: «أصبحت خبيراً».

- بعد رحيلك كان عليّ أن أفعل هذا أو أن أكوّم الدهن على جسمي بتناول الطعام خارج البيت.

- لا أستطيع أن أتصورك وقد ازداد وزنك.

كان يرتدي قميصاً أزرق وبنطلوناً مجرياً محكماً على وركيه ما جعل حواسها تنتبه.

- لطالما كان جسمك رائعاً، لكنه لم يعد كذلك الآن فهل توقفت عن ممارسة الرياضة أيضاً؟

- نعم، في الواقع. العمل له الأفضلية، لكنه...

قاطعتها: «لكنه لم يعد كذلك. أرجو أن يكون هذا ما تنوي قوله».

- ولماذا أعمل أربع وعشرين ساعة بينما لديّ أجمل زوجة في العالم؟

ولماذا تعاشر امرأة أخرى إذا كان هذا صحيحاً؟ فكرت ميغان في هذا السؤال لكنها لم تطرحه. لديها ثقة بهذه الإجازة بحيث أنّ قلبها سينحطم إذا لم تنجح خطتها.

- إذا بقيت تتكلم على هذا النحو وأنت تعني ما تقوله. عندئذ قد يعني هذا أن لدينا مستقبلاً معاً.

نظرت إليه بنظرة ثاقبة، غير واعية إلى أن عينيها تتألقان وأنها تمثل الآن صورة امرأة وقعت في حب زوجها من جديد.

كانت ابتسامته دافئة، فشعرت برعشة رغم كثرتها الصوفية. لم يستطع لويجي أن يبعد عينيه عن ميغان حتى كاد البيض يحترق في المفلاة لولا أنه التفت في الوقت المناسب.

قالت ضاحكة: «ربما من الأحسن أن أخرج قبل أن يحترق فطورنا».

- وربما من الأحسن أن أعانق زوجتي الرائعة هذه.

قال هذا وهو يبعد المفلاة عن النار ثم يتقدم إليها مضيفاً: «مظهرك يبدو كمليون دولار هذا الصباح، هل تعرفين هذا؟ لقد احمرت وجنتاك بسبب الهواء النقي وتبين رائعة».

فاتها لحظة أنه يأخذ الآن زمام المبادرة في حين كانت مصممة على أن تكون لها اليد العليا في كل خطوة. ولم تستطع أن تمنع نفسها من الارتقاء في أحضانه والشعور بخفقات قلبه المتسارعة. وقال: «أظن أن علينا أن ننسى مسألة الفطور».

لم يكن هذا جزءاً من خطتها. وومض التعقل لحظة في ذهنها يجبرها بما ينبغي عليها أن تفعل فمناحتته ابتسامة ملائكية ودفعته بيديها من صدره. شعرت بخفقات قلبه غير الثابتة على راحتها. لكنها تجاهلتها بشجاعة وقالت: «مستحيل، فأنا جائعة».

واستدارت مبتعدة عنه. شعرت بصدمته فالتوت شفتاها بنهك وهي تتجه إلى المائدة. لم تفعل هذا لأنها لا تشعر بالحرمان، بل لأنها تود أن تشعل ناره أكثر، وهي ترجو أن يجب ذلك.

ساد الصمت في المطبخ للحظات قبل أن يعود إلى العمل مرة أخرى. تلهفت لرؤية التعبير الذي بدا على ملامحه لكنها لم تجرؤ على الالتفات إليه. وبدلاً من ذلك جلست وسكبت كأسين من عصير البرتقال، متعمدة إدارة ظهرها للباب.

دخل لويجي حاملاً إبريق القهوة والشاي والخبز المحمص ثم عاد يطبق فطورها برائحته الشهية. كان فطوراً إنكليزياً كاملاً. ولكن إذا استطاعت أن تأكله كله فهذه معجزة.

لم تكذب حين قالت إنها تكاد تموت جوعاً، لكنها لم تعتد أن تأكل هذا القدر الكبير من الطعام، كما أن اهتمامها انصب الآن على لويجي وليس على الأكل. أصبحت تخاف من النظر إليه لثلاث تكشف ملامحها مشاعرها. وعندما لم تبدأ بتناول الطعام، قال: «ظنتك جائعة».

- وأنا كذلك.

ونظرت إليه فلم تر الرغبة كما توقعت... رأت القلق وحسب. قال وهو يقدم لها قطعة من السجق: «ربما ينبغي أن أطعمك بيدي».

مالت قليلاً نحوه وفتحت فمها وعيناها في عينيه. عندما أطعمها قطعة السجق شعرت بسخونة أصابعه. بدا مستمتعاً بهذه اللعبة فكان يضع لقمة في فمه وأخرى في فمها إلى أن استلصت هي زمام المبادرة ثم أخذت تلقمه من صحنها وبالطريقة نفسها.

أما كيف استطاعا أن ينهيا الطعام فهذا ما لم تفهمه.

قال وهو يحتسي كوب القهوة الثاني: «كان فطوراً غير عادي».

- كان رائعاً فعلاً. أظن أن علينا أن نتخلص من تأثيره في الوزن بالتمشي.

نظر من النافذة وعلق: «بدأ الثلج يتساقط».

وأردف والجد في ملامحه: «لدي طريقة أفضل بكثير لخسارة الوزن». أدركت تماماً ما يقصد. بدا قريباً أمراً مسلماً بها، وهذا ليس جزءاً من خطتها. يجب ألا يحصل عليها بسهولة. عليه أن يجاهد، وأن يدرك أنها تستحق الجهد.

لن ترضي بأن يعاملها كما كان يعامل تلك الزوجة التي اعتبرها لسنوات أمراً مسلماً به.

بقيت ميغان مصرة على أن تخرج لتمشي، ولكن ما إن وضعنا الأطباق في غسالة الصحون وارتديا ملابسهما حتى عاد الثلج إلى التساقط بغزارة.

وقفنا عند العتبة ينظران إلى النتف البيضاء التي راحت تكسو الأرض، ثم سألته: «هل تغامر؟ إذا بقي الثلج يتساقط على هذا المنوال، فسيصبح سميكاً بعد ساعات قليلة».

- أنا مستعد إذا كنت أنت مستعدة.

فقالت ضاحكة: «لنخرج إذن».

انجها نحو البحيرة تاركين آثار أقدامهما على الثلج، وضحكت عندما انزلت فانقذها بذراعيه القويتين، وبقي ممسكاً بها جيداً. وتناقض الهواء البارد في الخارج مع الحرارة التي اكتسحت كيانها.

عندما انزلت مرة أخرى، استلقت على ظهرها. كان لويجي قد تركها لحظة ليشير إلى بطة احتمت من الثلج تحت بعض النباتات، فرجع بجانبها على الفور والقلق بادٍ في عينيه: «ميغان؟ هل أصابك أذى؟».

- من الداخل فقط.

فقطب جبينه: «ماذا تعنين؟».

- إنه شيء لا يشفيه سواك.

- تعلمين أنني سأبذل نصارى جهدي.

وما كان منه إلا أن أوقفها على قدميها وركضا عائدين إلى البيت، مستعدين لبدء حياتهما الزوجية من جديد.

حملها إلى السرير، ورغم تلهفها إليه، رفضت تسريع الأمور قائلة: «لدينا متسع من الوقت».

قال لها: «أنت امرأة غير معقولة. ظننت أنني أعرف كل شيء عنك وإذا بك تدهشيني».

كانا مستكينين تحت الغطاء كأرنبيين في جحرٍ واحد. وقالت باسمه: «أحقاً أدهشك؟».

- نعم. لم أعهدك تناورين بهذه الطريقة؟

ضحكت: «أعلم ذلك».

- أنت امرأة مثيرة ورائعة حين تضحكين، أحبك يا ميغان.

- عفواً؟ لم أسمع!

- أحبك يا ميغان.

كان هذا اعترافاً بسيطاً وكأنه اعتاد أن يقوله ولم يفهم لما تستفسر منه.

- هل تعني هذا حقاً؟

قطب قليلاً وضامت عيناه: «طبعاً أعنيه. لطالما أحببتك».

- لكنك لم تقل لي هذا قط.

فقال بجفاء: «أعلم هذا، وأنا آسف. إنه شيء لا أستطيع قوله بسهولة».

- بسبب نشأتك؟

فأوماً وقد غطت الذكريات وجهه بسحابة قائمة.

- لماذا قلتها الآن إذن؟ ما الذي تغير؟

- نحن الذين تغيرنا! بدأت أدرك أخيراً أي حقير كنت. لكنني

سأحفظ وعددي بتقليل ساعات عملي، كما سأضع الآن الأسرة في المقام

الأول. وقد تغيرت الأمور بمجيبنا إلى هنا، فأنت أكثر ارتياحاً. وأنا

أكثر ارتياحاً في صحبتك ما يجعلني أقول ما في قلبي بسهولة أكبر.

شعرت ميغان وكان أمالها كلها تحققت في وقت واحد. لكنها

أدركت أيضاً أنّ عليها أن تتوخى الحذر فلعل حديثه صادر عن عاطفة مؤقتة. وفي ضوء النهار البارد، حين لا يكونان بين ذراعي بعضهما البعض.

قالت: «أظن أنّ علينا أن نتحدث في هذا الأمر لاحقاً».

قلب جيته: «أتعنين أنك لا تصدقيني؟».

- أريد أن أصدقك.

- لكنك لا تصدقين!

ونزل عن السرير وخلق فيها: «يا ميغان! ماذا على الرجل أن يفعل لكي يُنجح زواجه؟ هل أركع على ركبتيّ وأتوسل؟ صدقيني أن هذا لن يحدث أبداً. تقبليني كما أنا أو لا تفعلني أبداً».

لا بأس، إذا أراد أن يتغاي، فليحتمل. نزلت من السرير وهي تقول غاضبة: «لا أريد زوجاً يتخذ امرأة أخرى عشيقه له».

- امرأة أخرى؟ عمّ تتحدثين؟

- وكأنك لا تعلم؟

- أتعنين سيرينا؟ بالله عليك يا ميغان، متى ستصدقين أن ما من

شيء بيني وبينها؟

- ليس هذا ما قالته لي.

رأت أنفاسه تنحبس في حلقة، والشك يجمّد عينيه، فانتظرت فيما خرجت كلماته من فمه بطيئة مستفسرة: «أتعنين أن سيرينا أخبرتك، ليلة رأس السنة، أننا عشيقان؟».

أومات إيجاباً.

فهزّ رأسه غير مصدق: «ولماذا تقول هذا؟».

بدا واضحاً أنه لا يريد أن يصدق ذلك.

- لأنها غير أيها المعتوه الأعمى فهي تحبك.

عندئذ أجفل: «لكنني لا أحبها».

- المرأة المرفوضة تصبح أكثر لطفة وشوقاً، ألا تعلم هذا؟

- هل قالت هذا حقاً؟ حاولت أن تفسد علاقتنا؟

همست ميغان وهي تجذ صعوبة في رؤية لويجي يحاول أن يصدق حقيقة أن سكرتيرته ليست من الكمال كما يظن: «نعم».

- هل ستخبريني بالتفاصيل؟

وتزيد من ألمه؟ لا. هزّت رأسها نفيّاً، فقال ببساطة وإخلاص ما جعلها تصدقه: «أنا لم أعاشرها قط».

ما كانت لتصدق لو قال لها هذا منذ أيام، أما الآن فهي تفعل.

- سأواجهها حين أعود إلى العمل. لن يتكرر هذا. يمكنها أن تبقى في العمل وتحاذر من ذلك، أو ترحل.

راح قلب ميغان يغني: «أظنتي أصدقك هذه المرة، لويجي».

رأت الارتياح يعلو وجهه، واسترخى جسده وعادت إلى شفّته ابتسامة بطيئة: «أنا أحبك، يا ميغان، ومن كل قلبي».

- وأنا أحبك أيضاً.

- هل ستبقين معي إلى الأبد؟

أومات فتأوه وأخذها بين ذراعيه: «أحبك، أحبك، أحبك».

وتملكته السعادة وهو يدرك أنه كلما كرر هذه الكلمات، كلما أدرك مدى سهولة التعبير عن مشاعره. ولم يستطع أن يتوقف.

- وأنا أحبك أيضاً. إننا ثنائي متناسب.

فقال موافقاً: «في سرير الزوجية وخارجه».

وما لبث الزمن أن فقد كل معنى.

ولم تستطع ميغان أن تتأكد ما إذا كانت كانت ساعات التي مرّت أم أيام. شعرت بأنهما بقيا في السرير إلى الأبد. لقد توحدوا مرة أخرى في هذا المكان الهاديء.

وعندما حانت أخيراً ساعة العودة إلى بيتهما، تملكهما الحزن. وضعوا الأمتعة في السيارة، ثم ألقيا نظرة أخيرة للتأكد من أنهما لم ينسيا شيئاً.

قالت: «أتمنى لو نقيم هنا إلى الأبد. ما عدا أنني مشتاقة إلى

ولكن ليس بقدر ما توقعت فقد أنساها لويجي، زوجها الرائع هذا العالم كله.

- وأنا أيضاً. لم أحلم بزوجة أروع ولا إينة أجمل، وأتمنى أن ننجب لها، يوماً ما، أختاً أو أختاً.

فقالت له بابتسامة خجل حيرته: «أظن أن هذا سيحصل بشكل أسرع مما تظن».

أخذ وجهها بين يديه ونظر إليها متسائلاً: «ما الذي تقولينه؟».

- تأخر حيضي هذا الشهر.

فحملق فيها: «وهذا يعني أن الحمل حصل يوم عيد الميلاد؟ أو في

اليوم التالي؟».

فأومات، لكنها عادت وقالت: «وقد يعني هذا أيضاً عدم انتظام العادة الشهرية بسبب الكدر الذي تملكني مؤخراً، فالوقت ما زال مبكراً للتأكد، ولكن...».

- ما من «ولكن»، فقد شعرت بتغير فيك. إن فيك تفتحاً وتالقاً لا تعرفه سوى الحوامل.

- أنى لك أن تعرف كيف تبدو الحوامل؟

قالت هذه الكلمات ثم تمتد لولم تفعل، فقد حرمتها من فرصة رؤيتها أثناء حملها بشارلوت. لكن لم يبد عليه أنه اهتم بذلك وقال:

«أحبك يا سيدة كوستانزو، ولن أتوقف قط عن إخبارك بذلك. وأحب ابنتنا أيضاً أكثر مما يمكنك أن تتصورني وسأكون أحسن أب في العالم... لكل أولادنا».

غمر ميجان السرور فقد آمنت الآن بتغيره.

قال متأملاً: «لقد حصلت شارلوت على أب لعيد الميلاد، ونحن انجبنا طفلاً جديداً في عيد الميلاد. أليس هذا رائعاً؟».

- تماماً. ثمّة أمر واحد عليّ أن أقوم به.

فقال ضاحكاً: «وما هو؟ أنا لست واثقاً من أن لدينا وقتاً لما يدور في خلدك».

- أظن أن بإمكانني أن أنتظر حتى نصل إلى البيت. أريد فقط أن أخبر والدي أننا عدنا إلى بعضنا البعض. إنهما يجبانك كثيراً، كما تعلم، وقد غضبا مني عندما تركتك فلم يكلماني منذ ذلك الحين.

- أعرف هذا، فقد اتصلت بهما عندما كنت أبحث عنك ووعدتهما بأن أخبرهما عندما أفلح في العثور عليك.

- وهل أخبرتهما؟

أوماً وقد تملكه شعور بالذنب: «أرادا أن يطمئنا عليك. أعلم أنه كان عليّ أن أخبرك، لكنني لم أكن واثقاً من ثباتك، إذ كنت عنيذة للغاية ومصرة على أن عودتك هي فقط لقضاء عطلة العيد ليس إلا. كنت أصاب بالرعب كلما هددتني بالرحيل».

- ماذا كنت لتفعل لو أنني رحلت؟

- أفكر في طريقة أستعيدك بها. ما كنت لأدعك ترحلين مرة أخرى يا حبيبي، صدقي.

قالت بعد أن اطمأنت إلى أنه سيكون زوجاً رائعاً على الدوام: «ثمّة أمران يجب قولهما».

- حسناً، تكلمي. لا نريد أن نبقي بيننا أي أسرار.

- أولاً، لم يكن بيني وبين جيك أي علاقة على الإطلاق. جعلتك تظن ذلك لأثير غيرتك، وأنا آسفة.

- وقد نجحت في هذا إذ كرهت فكرة أن تعرفني رجل آخر.

- لم أعرف رجلاً غيرك.

فابتسم بسرور وسأل: «وما هو الأمر الثاني؟».

ابتلعت ريقها: «لا أريدك أن تحزن لكن بيتك لم يعجبني. هل يمكننا الانتقال منه؟».

فقال بابتسامة خجول: «أتريدين أن تعرفي الحقيقة؟ أنا أيضاً لا

يعجبني، على الأقل منذ جئت أنت إليه. إنه ليس منزل أسرة، أليس كذلك؟ إنه من دون روح أو قلب. سنختار بيتاً آخر لنا يا حبيبي، على أن يكون كبيراً بما يكفي ليجمع الأولاد الذين سنتجهم» -  
طبعاً.

فربت على بطنها وسأل: «هل سبق وأخبرتك أن في أسرتنا توأم؟». فقالت ضاحكة: «دعني من هذا أرجوك». لكن فكرة أن يكون لها الكثير من الأولاد من لويجي أعجبتها حقاً.

